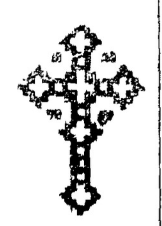


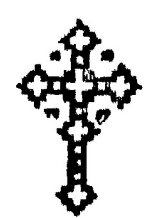


إشعياء



الكتاب السابع

الاصحاحات من ٤٧ – ٥٣



القمص لوقا سيداروس

اهداءات ٢٠٠٢

كنيسة مارجرجس

الاسكندرية

إشـــعياء

الكتاب السابـع

الاصحاحات من ٤٧ - ٥٣

القمص لوقا سيداروس



قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

اشعياء ٤٧

١ - انزلى واجلسى على التراب أيتها العذراء ابنة بابل اجلسى على الأرض بلا كرسى يا ابنة الكدانيين لأنك لا تعودين تدعين ناعمة ومترفهة .

٢ - خذى الرحى واطحنى دقيقًا . اكشفى نقابك شمرى الذيل . اكشفى الساق . اعبرى الأنهار .

٣ - تنكشف عورتك وترى معاريك . آخذ نقمة ولا أصالح أحدًا .

٤ - فادينا رب الجنود اسمه قدوس إسرائيل .

٥ - اجلسى صامتة وادخلى فى الظلام يا ابنة الكلدانيين لأنك لا تعودين تدعين سيدة الممالك .

فى هذا الأصحاح يعلن السيد الرب قضاءه على مملكة بابل وهو يخاطبها ويناديها بالعذراء ، ابنة بابل ، وابنة الكلدانيين ، وفيما يعلن القضاء على هذه المملكة الباغية التى ظلمت شعب الله قديماً ، يحتوى الكلام ضمنياً القضاء على مملكة الظلمة وقوات الشر الروحية ، فالكلام هنا كالظلال والرموز ، الذى أكمله مخلصنا حين سحق الشيطان بصليبه كاسراً شوكة الموت بموته .

انزلى ... اجلسى على التراب .

العلة الأولى هى الكبرياء ، لذلك كان القضاء ، هو إحدارها إلى أسفل ... لقد تعالت مملكة بابل ، ويكفى ما قاله نبوخذ نصر الذى بنى بابل ، « **هذه بابل العظيمة التى بنيتها بقوتى واقتدارى** » ... فسمع الصوت من السماء ، يطردونك من بين الناس . أليست هذه هى علة الشيطان الأولى ؟ ، ارتفع فى قلبه قائلاً « **أصعد إلى السموات وأرفع كرسىّ فوق كواكب الله وأجلس على جبل الاجتماع ... أصعد فوق مرتفعات السحاب ... أصير مثل العلىّ** » . اش١٤ لذلك قد دعى الروح مملكة الشيطان « **بابل أم الزوانى** » ودعى الشيطان نفسه ملك بابل .

وقد قال مخلصنا للرسل الأطهار لما أرسلهم للكرازة ورجعوا فرحين « **رأيت الشيطان نازلاً من السماء مثل البرق ، هنذا أعطيكم سلطانًا أن تدوسوا الحيات** » .

حقاً لقد سحق المسيح الشيطان تحت أقدامنا « **إله السلام يسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعًا** » .

فعوض الارتفاع والكبرياء ، تقاسى بابل جزاء لذلك الانحطاط إلى التراب ، إلى أسفل الجحيم وبينما يحكم الرب على بابل بهذه الكلمات قائلاً انزلى اجلسى على

التراب ، ينادى مناداة الخلاص للكنيسة التى كانت ذليلة ومضطربة منفية ومطرودة قائلاً ... **« استيقظى استيقظى البسى عزك ياصهيون البسى ثياب جمالك يا أورشليم ... انتفضى من التراب قومى اجلسى »** .

فالمخلص قد وُضِعَ لسقوط وقيام كثيرين كما تنبأ سمعان الشيخ . فبينما بنت بابل الشقية تنسحق إلى التراب ، فإن أورشليم الجديدة تنعتق من السبى والتراب وتقوم ممجدة فى الذى قام من الأموات ناقضاً أوجاع الموت .

« اجلسى على الأرض بلا كرسى ... لأنك لا تدعين ناعمة ومترفهة » .

عندما ينحدر الشيطان إلى أسفل يفقد سلطانه وسطوته ، كان يترأس بقوة وقهر ، كرئيس هذا العالم ، ملك على كل بنى الكبرياء ، فحينما ينحدر إلى التراب تدوسه أقدام القديسين الذين لهم سلطان أن يدوسوا الحيات إذ أن المسيح - نسل المرأة - سحق رأس الحية المتحوية إبليس الحية القديمة ...

صار بلا كرسى ، انحدر ، انسحق ، أين التنعم والترفه ، لقد أذله القديسون وهم متمسكون بالمسيح الملك ، وطردوه وغلبوه وأذلوا فخره وعزه .

خذى الرحى واطحنى دقيقًا ... عندما كانت تسبى الشعوب كانت تذلّهم بالأعمال الشاقة والأعمال الحقيرة ، كما كان شمشون فى أسره كان الفلسطنيون قد أوثقوه بسلاسل وكان يطحن فى بيت السجن .

فالآن يا مملكة بابل دارت عليك الدوائر ، وجاء وقت إذلالك ، تشربى من ذات الكأس وكما فعلت بالشعوب يفعل بك ... هذا قضاء عدل وحق اكشفى نقابك ... شمرى الذيل ... أكشفى الساق .

كم عرى الشيطان بالخزى ضحاياه ؟ منذ أن سقط أبونا آدم فريسة لغواية الحية وتعرى فى خزى الخطية. «لأنى عريان فاختبأت» ... منذ ذلك الحين والشيطان يعرى ويفضح بالخزى والشماتة ، إلى أن جاء مخلصنا فجرد الرئاسات وأشهرهم جهاراً ظافراً بهم ، فلبس الشيطان الخزى كثوب وصار مفضوحاً يعتريه الخجل إذ قد انكشف متعرياً حتى الأساس كما يقول النّبى تنكشف عورتك وترى معاريك . آخذ نقمة ولا أصالح أحداً فادينا رب الجنود اسمه قدوس إسرائيل .

وهكذا يظهر جلياً انتقام فادينا من مملكة الخطية وروح الظلمة ، يوم أن تخلص له ذراعه وينتقم من أعدائه ، أعداء

القداسة والحق والنور والحياة ، فى ذلك اليوم تنكشف كل مخازى الشيطان وكل أعماله النجسة حينما يستعلن الفادى رب الجنود قدوس إسرائيل ، هذا هو اسم فادينا الذى ترتعب منه الشياطين « **باسم يسوع المسيح** »... إذ ليس اسم آخر تحت السماء أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص إلا اسم يسوع . وبعد أن انكشف عوار الشيطان وخزيه ، كم من الفرح يغمر نفوس المفديين ؟ « **استهزأت بك العذراء ابنة صهيون** » .

« **اجلسى صامته وادخلى فى الظلام ... لأنك لا تعودين سيدة الممالك** » .

هكذا حكم الرب على الشيطان المشتكى على جنسنا ، المتطاول على الحق ، إننا نقرأ فى الإنجيل أن المسيح مخلصنا عندما أخرج الشياطين « **كان ينتهرهم ولا يدعهم ينطقون** » ، لك المجد أيها الفادى القدوس يا من أخرست الشياطين بقوتك العظيمة لسان الغش والظلم ، « ولسان المتكلمين بالظلم وتباد » ... « لتخرس الشفاه الغاشة » .

انحدر روح الظلمة ... بل سينحدر إلى الهاوية ، إلى الظلمة الخارجية إلى الأبد إذ يهرب من النور الذى لا يدنى منه فى خوف ورعدة كثيرة ... هكذا يبدو واضحاً من رعب الشياطين وخوفهم أمام مخلصنا « وكانت

شياطين تخرج من كثيرين وهى تصرخ » .

« لأنك لا تعودين سيدة الممالك » ... لك المجد يا من حررتنا من عبودية إبليس وملكت علينا بصليبك المحيى فصرنا ملكك ، ولا يملك علينا سواك .

« ٦ - غضبت على شعبى دنست ميراثى ودفعتهم إلى يدكِ . لم تصنعى لهم رحمة . على الشيخ ثقلت نيرك جداً .

٧ - وقلت إلى الأبد أكون سيدة حتى لم تضعى هذه فى قلبك لم تذكرى أخرتها .

٨ - فالآن أسمعى هذا أيتها المتنعمة الجالسة بالطمأنينة القائلة فى قلبها أنا وليس غيرى . لا أقعد أرملة ولا أعرف الثّكل .

٩ - فيأتى عليك هذان الاثنان بغتةً فى يوم واحد الثّكل والترمل . بالتمام قد أتيا عليك مع كثرة سحورك مع وفور رقاك جداً » .

لكى تدرك تجبر بابل وقسوتها ، راجع حال السبى والذى كانوا مسبيّين فى بابل ، ويكفى أن تتأمل كلمات المزمور « **على أنهار بابل هناك جلسنا فبكينا عندما تذكرنا صهيون على الصفصاف فى وسطها علقنا قيثارتنا ... كيف نسبح تسبحة الرب فى أرض غريبة ، أن نسيتك**

يا أورشليم تنسى يمينى ويلتصق لسانى بحنكى إن لم أذكرك ... » . وأيضاً « يا بنت بابل الشقية طوبى لمن يجازيك مكافأتك التى جازيتنا ، طوبى لمن يمسك أطفالك ويدفنهم عند الصخرة » .

ففى غضب الرب على شعبه إسرائيل بسبب خطاياهم وكثرة آثامهم ، سلمهم إلى أيدى أعدائهم ، فماذا صنعت بهم بابل ؟

لا رحمة ولا حنو ولا شفقة توجد فى بابل ... هذا هو الحق ذاته . فإن كان الأمر كذلك ، فليعلم كل أحد أن الشيطان هو غير رحيم بحسب طبيعته ، ولكن هل لا تعاقب بابل أو لا ينتقم منها ؟ حاشا .

فسوف يدار عليها الكاس ، كاس الغضب ، أمين هو الله أن « **الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً** » . وسوف تشرب بابل كأس غضب اللّه إلى النهاية ، أما غرور بابل وثقتها بنفسها أن مملكتها وسلطانها إلى مالا نهاية فهل يترك هذا الغرور بلا عقاب ؟

ستزول مملكتها وتباد وينحدر علوها إلى الرماد وتكون كامرأة ذاقت مرارة موت الزوج وموت الولد ، الترمل والثكل ، فأى مرارة وحزن وأى يأس وعجز وانكسار قلب .

على هـذا سـوف يكـون عقاب بـابل أم الزوانى التى هى رمز لمملكة الشـيطان وروح الظلـمة . وثمـة أمر آخر جدير بالتأمـل ، أن ما جاز فيه شـعب اللّه من مذلة السـبى وعدم الرحـمة من جهـة بابل ، إنما كـان من جرّاء خـطايا كثـيرة استوجـبت كل هذا لذلك قال الـرب « غضبت على شـعبى دنسـت ميـراثـى » ، وقال أيضـًا بفم إرمـيا نبـيّه « أسـلمت حبيبة نفسى ليد أعدائها » .

فهـل كان يفـرط الرب فى نـفوس مـحبـيه لولا الخـطايا والنجاسـات ؟ حاشـا .

بـل أن شـعبـه هـو الـذى مـال إلـى طريـق آخر ، وعـمـل شرّين « **تركـونى أنا ينـبوع الماء الحـى وحـفـروا لأنفسـهم آبارًا آبارًا مشققة لا تضـبط ماءً** » فالأمـر إذًا متـعلق بأجرة الخطية ، فإن وجـد من يرفـع الخـطايا فإن الـغضـب يـرتفع للـحال ، « **لا أعود أغضب عليك** » .

« بفيضـان الـغضـب حـجبت وجهى عنك لـحظة وبمـراحم عظـيمـة سـأجـمـعك » ، فـقـد تبـدلت لـنا العـقـوبة خـلاصـًا بالمسيـح ، والـغـضـب انـقلب إلـى مـراحـم وبابل المـتـجبـرة ستشـرب كأس الـغضـب إلى النـهاية .

١٠– وأنت اطـمأنـنت فى شـرك قلت . لـيس من يـرانى .

حكمتك ومعرفتك هما افتناك فقلت فى قلبك أنا وليس غيرى .

١١ - فيأتى عليك شر لا تعرفين فجره وتقع عليك مصيبة لا تقدرين أن تصديها وتأتى عليك بغتة تهلكه لا تعرفين بها .

الشيطان رغم كل ما عنده من معرفة وحكمة لكنه إزاء حكمة اللّه صار جاهلاً فى حماقة ما بعدها حماقة .

تأمل أعماله وشروره وحيله التى صار يعملها حتى الصليب ، لقد ملأ الجو كله فتناً وحقداً وصار ينفث شراً وقتلاً فى نفوس رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين وهيرودس وبيلاطس وكيف هيج الشعب ليصرخ : اصلبه... وكم ملك على قلب يهوذا الخائن ... شئ لا يمكن حصره أو وصفه ... ثم ماذا ؟ ... بالصليب انقلبت الدوائر ، بعد أن ظن أنه بلغ قصده من المسيح ، واطمأن إلى حكمته الشيطانية وقال فى قلبه أنا وليس غيرى ...

وبينما هو كذلك سحقه الرب بالصليب ، وكسر شوكة الموت بقيامته .

والوحى يسمى ما فاجأ مملكة الشيطان على غير توقعه ‹ **يأتى عليك شر** › ‹ **تقع عليك مصيبة** › ‹ **يأتى عليك تهلكة** › .

هكذا كان الصليب بالنسبة للشيطان الذى اعتدى على البار الذى بلا خطية ومن كلمات الوحى ندرك أن الأمر كان أكبر مما تتوقع بابل أو تنتظر ، وأن القوى إذ كان متحصناً يحفظ داره فى أمان ، جاء الآن من هو أقوى منه فنزع سلاحه المتكل عليه ليوزع غنائمه .

على هذا كان الصليب مباغتة للشيطان وكل مملكته ، كان نزول المسيح إلى الجحيم كإشراق نور على سجون مملكة الظلمة فجأة وبوهجان شديد حطمها وبلا مقدمات، وكان فجر قيامة المسيح غير المتوقع من جهة الشيطان وكل أعوانه انكساراً مريعاً لم يقدر أن يصده ، وهل تقدر فلول الظلام أن تصمد أمام النور الحقيقى ؟

« ١٢ – قفى فى رقاك وفى كثرة سحورك التى فيها تعبت منذ صباك . ربما يمكنك أن تنفعى ربما ترعبين ! .

١٣ – قد ضعفت من كثرة مشوراتك . ليقف قاسمو السماء الراصدون النجوم المعرفون عند رؤوس الشهور ويخلصوك مما يأتى عليك .

١٤ – ها أنهم صاروا كالقش أحرقتهم النار . لا ينجون أنفسهم من يد اللهيب . ليس هو جمراً للاستدفاء ولا ناراً للجلوس تجاهها .

١٥ – هكذا صار لك الذين تعبت فيهم . تجارك منذ

صـبـاك قــد شــردوا كل واحـد علـى وجـهـه ولـيـس مـن يـخلصك» .

لقد اشـتـهرت بابـل بأعمـال السـحـر والرقيا وانشـغلت جـداً بهذه الأعـمـال الشـيطانية بل وفـاقت أهل زمـانهـا فى عبادة الأوثان والتضـحـية لها واتكلـت على كل هـذه كـأنها قوتها ومـصـدر سلطانها وسطوتها .

وهـا الرب إذ يحكم عليـها وينهى سلطانها ينـاديها كمن يقول لها ، أين هـى الأسـحـار وأعمال الشياطين ؟

أين هـى أعمال الرقيا والاعافة والتفاؤل ؟

هـذه الـتى تعـبت فيـها مـنذ صـبـاك وصـرفت فيـها قـوة الشـباب مع كل إمكانياته التى كرستيها للانـحـراف ؟

أمـا رؤسـاء الشــر وقـادة الانـحــراف الـذين أسـمــوا نفـوسـهـم بهذه الأسـماء « قـاسـمو السـمـاء » ، « الراصـدون النـجـوم » ؟

أين حـكمتهـم وشـهـرتهـم .

أين قـوتهـم ومـشـورتهـم . أو كمـا يقـول الـقديس بـولس الرســـول « **أيـــن الـحـكـيــم أين الـكاتـب أين مـبـاحـث هـذا الدهـر** » ؟

لقـد أبـطلـت حـكـمـة الـحـكـمـاء وفـهـم الـفـهـمـاء العـالمين

والذاهبين وراء آلهة أخرى ، لقد صارت حكمتهم وبالاً عليهم وعلى تابعيهم .

وحتى مجئ الرب والكرازة باسمه ، كان اليونانيون يطلبون هذه الحكمة البشرية النفسانية الشيطانية ويتكلون عليها .

وماذا أبطل هذه الحكمة ؟

أبطلتها قوة الكرازة بالمسيح مصلوباً ، التى هى عند اليونايين جهالة . وهكذا صار واضحاً أن ضعف اللّه أقوى من الناس وجهالة الكرازة بالصليب أحكم من الناس .

ولم تقف الحكمة البشرية ولم تثبت عبادة الأوثان امام قوة الصليب ، وها الروح القدس يعلن أن هذه الأمور تصير كالقش أمام النار « **ها أنهم صاروا كالقش أحرقتهم النار لا ينجون أنفسهم من يد اللهيب** » ليس هو مجرد جمراً للاستدفاء ولا ناراً للجلوس تجاهها .

بل صار الصليب ناراً الهية حارقة بالنسبة للشيطان وكل قواته ، صار رعباً وخوفاً « **وكانت شياطين تخرج من كثيرين وهى تصرخ** » ، بل ومازال الصليب هكذا مخيفاً للشياطين كأنه نار ، كلما رآه صرخ وفر هارباً والقصص

الواقعية لهذه الحقيقة لا تقع تحت عد أو حصر .

وصار أيضاً الروح القدس فى يوم الخمسين كألسنة نار منقسمة على الرسل الأطهار ، وملأهم من كل معرفة وكل حكمة روحية فصاروا يكرزون ويشفون الأمراض ويخرجون الشياطين وهى تفزع حتى من ظل بطرس ، ومناديل وعصائب كانوا يأخذونها من على جسد القديس بولس الرسول .

لقد صارت مملكة الشيطان المرموز إليها ببابل مع كل حكمتها وغناها مع كل فلسفاتها ، وتجار الفلسفة فى العالم وكل ضلالات العبادات الوثنية وقادتها صاروا كالقش أمام نار رهيبة ملتهبة ... لم يثبتوا ولم يقووا على الوقوف .



إشعياء ٤٨

١ – اسمعوا يا بيت يعقوب المدعوين باسم إسرائيل الذين خرجوا من مياه يهوذا الحالفين باسم الرب والذين يذكرون إله إسرائيل ليس بالصدق ولا بالحق .

٢ – فإنهم يُسمَّوْن من مدينة القدس ويُسندون إلى إله إسرائيل . رب الجنود اسمه .

الحديث هنا يوجهه الروح القدس إلى بيت يعقوب ، وهم فى حال سبيهم فى بابل ، وإن كانوا حسب الظاهر يدعون إله اسرائيل وينتسبون إليه إذ أن اسمه مدعو عليهم وهم معتبرون أنهم شعب اللّه ، ولكن حسب الواقع فهم يذكرون اسم آله إسرائيل ليس بالصدق ولا بالحق ، وبالاسم يُسمَّوْن من مدينة القدس ولكن بالفعل يعيشون فى بابل ، وحسب الظاهر يستندون إلى إله اسرائيل أما فى الواقع فهم ينتسبون إلى العالم ويستندون على الباطل .

فى ذلك الزمان انتهى إسرائيل إلى هذه النهاية المؤسفة، إذ صار كل رصيده اسم وشكل بينما انحسر الروح ونضبت ينابيعه وكمل قول الرب بفم إرميا « **هذا الشعب يكرمنى بشفتيه أما قلبه فمبتعد عنى بعيداً** » ، إذ

صار لهم صورة التقوى لكنهم ينكرون قوتها وماذا يجنى الإنسان من هذا سوى ازدواج فى الشخصية ينتهى إلى الانهيار والتحطيم والتمزق ، إذا عاش محافظاً على الخارج ومتمسكاً به مستنداً عليه الذى هو الاسم والشكل والمظهر ، بينما الداخل مهان ومعرى ومزدرى جداً .

فى مثل هذا الوضع ينحاز الإنسان إلى منهج الفريسيين يمارسه بحذقٍ شديد ممثلاً دور القداسة الخارجية « **تبدو ظواهركم مثل الصديقين** » ، يحرص كل الحرص على الاحتفاظ بها ويتفنن كيف يقنع الناس ويستجدى مديحهم . أما الحياة الحقيقة الداخلية ، أى منابع فكر الإنسان ونياته وشهوة نفسه وآماله فكلها نابعة من بحر العالم ومنصبه فيه راجعة إليه . ولكن ماذا يكون العلاج وأين الطريق ؟

اسمعوا هذا يا بيت يعقوب .

الطريق إذن هو سماع صوته ، والإصغاء إلى كلمته ، وإحناء الأذن والقلب وإخضاع الإرادة والقلب المتقسى لكلمة الحياة « **ليتك أصغيت إلى وصاياى فكان كنهر سلامك** » .

وهل قصرت الكلمة عن أن تقيم من القبور ؟

وهل عجزت كلمة الرب يوماً عن ان تصنع معجزات ؟

ولكنه الإنسان الذى ترك عنه التعقل والصحو والصلوات واكتفى بشكليات الانتساب إلى اللّه .

اسمعوا هذا يا بيت يعقوب .

فالكلمة قادرة على هدم حصون .

والكلمة حية وفعّالة وأمضى من كل سيف ذى حدين .

والكلمة لا ترجع فارغة بل تعمل مسرة اللّه إن هى وجدت مكاناً فى القلب .

والكلمة مقتدرة أن تُحكِّم للخلاص ...

وإن سمعتم صوته لا تقسوا قلوبكم .

٣- رب الجنود اسمه . بالأوليات منذ زمان أخبرتُ ومن فمى خرجت وأنبأتُ بها . بغتةً صنعتها فأتت .

٤- لمعرفتى أنك قاسٍ وعضلٌ من حديد عنقك وجبهتك نحاس .

٥- أخبرتُكَ منذ زمانٍ قبلما أتت أنبأتك . لئلا تقول صنمى قد صنعها ومنحوتى ومسبوكى أمر بها .

٦- قد سمعتَ فانظر كلها . وأنتم ألا تُخبرون ؟ قد أنبأتك بحديثات منذ الآن وبمخفيات لم تعرفها .

٧- الآن خُلقت وليس منذ زمان وقبل اليوم لم تسمع بها لئلا تقول هأنذا قد عرفتها .

أما إعلان الكلمة وسرها فهو يرتكز حول كشف المستقبل ، والتنبؤ بما سيكون . فالكلمة تهتم بالحياة المستقبلة ، فإن كشفت الكلمة عن الزمن وأخبرت بما سيكون زمنياً ، وبالمستقبل من جهة الحياة الحاضرة سواء من جهة أحداث أو حروب أو زلازل أو مجاعات إلى آخر هذه الأمور ، فإنما تجد بها كمقدمة وكمبتدأ للأوجاع وأما غاية الكلمة فهو المنتهى ومجئ الرب .

لذلك فإن الكلمة حوت الكشف عما هو مخبأ وراء الأزمنة ، لأن ليس شئ مخفى ، بل الكل مكشوف وعريان.

هكذا جاءت النبوءات بالروح كشفاً لما سيكون ، فإن أخذها الإنسان مأخذاً مادياً زمنياً ، يجدها له حاوية من جهة المستقبل ما لابد أن يصير من أحداث وأمور هذا العالم .

أما إن استوعبها بالروح فهى تكشف بجلاء ونور حتى تقود النفس إلى شخص المخلص ، الكلمة الذاتى ، سواء

فى مجيئه متجسداً للخلاص ، أو مجيئه الثانى المخوف كديان الأرض كلها .

هذا هو ما يقصده الرب ببيت إسرائيل ، أن يسمعوا كلمة الرب ، أن يميلوا أذنهم صاغين إليها لعلها تنير ظلمة العقل ولعلها تكشف عن البرقع الموضوع على قلوبهم كقول الرسول بولس .

ولكن هل صار الأمر كذلك ؟

إن الوحى يعلن عكس ذلك تماماً حين يقول « لمعرفتك أنك قاسٍ وعضل من حديد عنقك جبهتك من نحاس » هذا وصف عجيب لرافضى الكلمة .

كم من مرة قال الروح « إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم » لقد قال الرب بفم حزقيال « أنزع منكم قلب الحجر وأعطيكم قلبًا لحميًا » لقد تقسى القلب بغرور الخطايا فصار مثل الحجر بلا إحساس .

ومرة أخرى قال الرب بفم إرميا عن خطايا بيت إسرائيل أنها مكتوبة بقلم ماس على لوح من حديد ، صار القلب هكذا نقشت عليه الخطية نقشاً وتقسى فصار كالحديد .

ياللحسرة كيف حولت الخطية طبيعة الإنسان حينما ملكت عليه ؟

أما من جهة بوادر الطاعة أو الخضوع للكلمة أو قبولها ، فيقول الرب لبيت إسرائيل عنقك وجبهتك من نحاس .

صلّبوا رقابهم ... بالحق وصفهم الوحى ، شعب صلب الرقبة ، لم تنحن رقبتهم لنير المسيح ، بل ولا عرفت الاتضاع ، بل فى صلف الكبرياء والعناد صارت فى قسوة الحديد وصلابة النحاس .

+ لئلا تقول صنمى صنعها .

لكن يقول قائلاً ماذا كان ثمر القساوة ؟

هو تزييف الحق وإرجاع الفضل فى كل ما يحدث إلى الذات ، صنمى أنا ومنحوتاتى انا ، فبدلاً من أن يمجدوا اللّه أو يشكروه كإله ، حمقوا فى أفكارهم واظلم قلبهم الغبى وأبدلوا مجد اللّه الذى لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذى يفنى والطيور والدواب والزحّافات ، هكذا نطق الروح بفم القديس بولس الرسول فى مطلع رسالته إلى أهل روميه .

ولكن الرب يقطع على الإنسان طريق التزييف هذا لعله يرتد فيرجع إلى اللّه ، فيقول له ها قد أخبرتك بأمور

آتية وبمستقبل لا تعرفه ، فإن أتت عليك هذه ، فافهم واعلم أنه ليس فى مقدور ذراع البشر ولا مصنوعات الناس من الأصنام ، وهكذا يظهر عجز الانسان وضعفه حينما يواجه المجهول فى كل ما هو آتٍ ، ولكن إن انحازت نفسه للكلمة الإلهية ، صار فى أمان المعرفة وابتعد عنه خوف التوقع والأوهام الذى يعذب النفس .

لقد كشف الرب قديماً أموراً مستقبلة لملوك وثنيين فقادهم إلى معرفته ولم يتكلوا على الأصنام .

كشف عن ٧ سنين شبع تعقبها ٧ سنين جوع لفرعون ملك مصر ، فأرسل ودعا جميع سحرة مصر وجميع حكمائها الوثنيين فلم يعرفوا ما هو سر هذه الرؤيا وعجز الوثن عن كشف المستقبل . فأرسل فرعون ودعا يوسف فكشف له بالروح أن اللهّ أظهر لفرعون ما هو صانع ... فحسن الكلام فى عينى فرعون ثم قال ليوسف بعدما أعلمك الله كل هذا ، ليس بصير وحكيم مثلك وأقامه على كل أرض مصر وأقر فرعون لعبيده « **هل نجد مثل هذا رجلاً فيه روح اللّه** »

هكذا أيضاً حدث مع نبوخذ نصر الملك فى أيام دانيال حين عجز السحرة عن إجابة طلب الملك ، أن يقصّوا له

الحلم الذى رآه وتفسيره ، وقال له دانيال « السر الذى طلبه الملك لا تقدر الحكماء ولا السحرة ولا المجوس ولا المنجمون أن يبينوه للملك ، لكن يوجد إله فى السموات كاشف الأسرار وقد عرف الملك نبوخذ نصر ما يكون فى الأيام الأخيرة » .

فلما فسر دانيال حلم الملك خر نبوخذ نصر على وجهه وسجد لدانيال ... وقال حقاً إن الهكم إله الآلهة ورب الملوك وكاشف الأسرار .

هذا ما حدث مع ملوك وثنيين ، اعترفوا وأقرّوا بحكمة اللّه وقدرته ووثقوا فى انبيائه وطرحوا حكمائهم وسحر سحرتهم ...

اما بنى إسرائيل ، فقد زاغوا بعيداً وأن اتت عليهم هذه فيقولون صنمى صنعها ... يبكتهم الملوك الوثنيون الذين مجدوا اللّه وهم لم يعرفوه .

٦– قد سمعتَ فانظر كلها . وأنتم ألا تُخبرون . قد أنبأتك بحديثاتٍ منذ الآن وبمخفياتٍ لم تعرفها .

٧– الآن خُلقت وليس منذ زمان وقبل اليوم لم تسمع بها لئلا تقول هأنذا قد عرفتها .

٨– لم تسمع ولم تعرف ومنذ زمان لم تنفتح أذنك

فإنى علمت أنك تغدر غدرًا ومن البطن سُمّيتَ عاصيًا .

إن كشف أسرار المستقبل يقود النفس المخلصة إلى الله الذى الكل مكشوف وعريان أمامه ، ولكن النفس العنيدة تجد لها أسبابًا لتحيد عن الله فإسرائيل اغلق عينى قلبه وأذنيه إذ صاروا كما قال اسطفانوس غير المختونين بالقلوب والآذان ...

٩- من أجل اسمى أبطئ غضبى ومن أجل فخرى أمسك عنك حتى لا أقطعك حقًا أن الله طويل الروح بطئ الغضب.

رغم القساوة التى صارت لقلب إسرائيل ورغم القلب الحجرى والرقبة الصلبة والعصيان ... فإنه يطيل أناته ولكن ما هو السبب لطول أناة الله ؟

من أجل اسمى ، ومرة أخرى يقول إنه يحامى عن هذه المدينة « **من أجل اسمى ومن أجل داود عبدى** » .

هل عرفت أيها الحبيب أن اسمه الذى دعى علينا صار مانعًا وحافظًا وهل عرفت أن انتسابنا إليه له اعتبار عجيب ، وهل علمت أن القديسين لهم دالة ولهم خاطر ولأجلهم يرتد غضبه !!

١٠- هانذا قد نقّيتك وليس بفضة ، اخترتك فى كور المشقة .

١١ – من أجـل نفـسى من أجـل نفـسـى أفعـل ، لأنه كـيف يُدنّس اسمى ، وكرامتى لا أعطيها لآخر .

لا يطيق أن يرى شعبه فى مذلة الخطايا ومهانة ونجاسة الوثنية ، فلا بـد أن يخلص ويقتنى شعبه ، ولكن لا بفضة ولا بذهب من سيرتهم الباطلة بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب دم يسوع معروف سابقاً قبل تأسيس العالم .

« وأن تكن آثامنا تشهد علينا فاعمل من أجل اسمك » ، هكذا صرخ إرميا نبى الدموع متضرعاً إلى اللّه أن يمد يده للخلاص حتى وإن تعالت الخطايا وتعاظمت الآثام ، فهو يطالب اللّه أن يعمل من أجل اسمه القدوس لئلا يهان بين الأمم ، كما قال موسى أيضاً ولئلا يقول الوثنيون أين إلههم ؟

وبالفعل فإن اللّه يقول من أجل نفسى ، يؤكدها مكرراً من أجل نفسى افعل وقد تمم مواعيده وعمل الخلاص وفدى شعبه الذى اختاره من كور المشقة وسلطان الظلمة.

١٢ – اسمع لى يا يعقوب وإسرائيل الذى دعوته .

أنا هو . أنا الأول وأنا الآخر .

١٣ – بيدى أسست الأرض ويمينى نشرتِ السموات ، أنا أدعوهن فيقفن معًا .

١٤- اجتمعوا كلكم واسمعوا ، من منهم أخبر بهذه ، قد أحبه الرب ، يصنع مسرّته ببابل ويكون ذراعه على الكلدانيين .

١٥- أنا أنا تكلمت ودعوته . أتيت به فينجح طريقه .

١٦- تقدموا إلىّ اسمعوا هذا . لم أتكلم من البدء في الخفاء . منذ وجوده أنا هناك والآن السيد الرب أرسلني وروحه .

ولكن لا تستعلن أعمال الخلاص للإنسان إلا إذ أمال سمعه وأخضع نفسه للكلمة ، لذلك تلاحظ تكرار نداء الرب « **اسمع لي يا يعقوب** » ... كررها الرب مرات ومرات في هذا الأصحاح... لعل كثرة نداء الرب يجد آذانًا صاغية، ولعل إسرائيل يفيق من غفلة الخطايا وموت الحواس .

وهنا يصل الروح إلى قمة استعلان خلاص اللّه وشخص المخلص . فهو حبيب الرب ، وصانع مسرته ، « **ابني الحبيب الذي به سررت** » وهو الذي يحطم مملكة بابل غير المادية ، وسلطان روح الظلمة بيده . ويكون ذراعه على الكلدانيين فيسحقهم « **يمينك يارب حطمت العدو** » ، وينجح طريقه : أمامه الهضاب يمهد ، يرسل أمامه الذي يهيئ الطريق وينادي قائلاً « قوّموا طريق الرب » ، وهو إذ

يعمل عمل الخلاص يصير هو ذاته الطريق « **أنا هو الطريق** » ، ولا يمكن أن يسير أحد فى الطريق ويضل ، حتى الجهّال إن ساروا فيها فهم حتماً واصلون إلى ميناء الخلاص .

منذ وجوده **أنا هناك** . أما صوت المخلص فيقول منذ وجوده **أنا هناك والآن السيد الرب أرسلنى وروحه** . لم يتكلم منذ البدء فى الخفاء ، بل قد أعلن الرب منذ البداية عن قصده فى الخلاص ، كلّم الآباء والأنبياء بطرق متنوعة ، وأما الآن فإنه كلمنا فى ابنه بإعلان وظهور وتجسد الكلمة .

اما عن أزلية الكلمة فيقول « **منذ وجوده أنا هناك** » ، فهو مع الآب منذ الأزل وإلى الأبد ، وهو واحد مع الآب فى الربوبية ، وإن ولد فى جسد البشر فى ملء الزمان ، لكنه أزلى قديم الأيام لا بداية أيام له ولا نهاية حياة فهو منذ البدء ، **فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله** .

أما من حيث تجسده فهو مرسل من الآب ، بالروح القدس « **السيد الرب أرسلنى وروحه** » .

حقاً ما أبدع الروح وهو يعلن عن شخص المسيح الإله ويشهد له ويشهد لإرساليته وتكميل خلاصه ، وأنه فى ملء

الزمان يأتى . وهذا ما عبر عنه الروح قائلاً **والآن السيد الرب أرسلنى** ، وكلمة الآن تشير إلى زمن تجسد الكلمة وحلوله بيننا حين كان يقول « **الآب الذى أرسلنى** » يقولها ويكررها ليرد النفوس إلى حضن الآب ويرجعها إليه .

١٧ – هكذا يقول الرب فاديك قدوس إسرائيل . أنا الرب إلهك معلمك لتنتفع وأمشيك فى طريق تسلك فيه .

١٨ – ليتك أصغيت لوصاياى فكان كنهر سلامك وبرك كلجج البحر .

١٩ – وكان كالرمل نسلك وذرية أحشائك كأحشائه . لا ينقطع ولا يباد اسمه أمامى .

فاديك ...

الفادى هو الآب الذى فدانا بذبيحة ابنه ، لأن الابن هو الذبيحة والفدية لذلك قيل أن الآب قدم ابنه كفارة ، وبذله لأجلنا أجمعين إذ أحب اللّه العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به .

قدوس إسرائيل ...

هو قدوس فى ذاته وهو مصدر القداسة ، وهو القدوس الجالس فى تسبيحات السيرافيم وهم يسبحونه بغير

سكوت تسبحة الثلاثة تقديسات ، أما أن يدعو ذاته قدوس إسرائيل ، فهو الذى اختار إسرائيل لذاته . « هذا الشعب جبلته لنفسى يحدث بتسبيحى » ، واختارهم وفرزهم من العالم أى قدسهم لذاته ، شعب اقتناء ، شعب مقدس ، وهو مقدس فيهم وجعل مقدسه مسكناً فى وسطهم .

وهو أرسل ابنه القدوس مخلصاً ، وهو الذى دعانا فى القداسه ، ودعانا قديسين .

انا الرب إلهك معلمك :

هو أيضاً معلمنا الصالح ، وكان يلذ للتلاميذ أن يدعوه « يا معلم » ، وفى المزمور أيضاً قيل « أعلمك أنصحك أرشدك الطريق التى تسلكها » ، وهو علمنا طريق الخلاص كما نقول فى القداس ، والمسحة التى من القدوس تعلمنا كل شئ وهى حق كقول القديس يوحنا ، وأيضاً يكون الجميع متعلمين من الله .

أعلمك لتنتفع :

لأنه بدون علم الروح يصير الإنسان جاهلاً ، وأما الجاهل فقال فى قلبه ليس إله - « الابن الحكيم يسرّ أباه والابن الجاهل حزن أمه » ، فهو يعلمنا ويرشدنا ويمسك بيدنا ، لأجل منفعتنا ولأجل خلاصنا .

وأمشيك فى طريق تسلك فيه :

هذا هو طريق الخلاص ، وفى صعوده إلى السماء بجسدنا ، صار لنا طريقاً حديثاً حياً بالحجاب اى بجسده ، وهو قال أنا أمضى لأعد لكم مكاناً ... وتعلمون حيث أنا أذهب وتعلمون الطريق .

قال له توما يا سيد لسنا نعلم أين تذهب فكيف نقدر أن نعرف الطريق قال له يسوع أنا هو الطريق يو ١٤

وهذا الطريق لكى نسلك فيه لا لكى نسمع عنه بالأذن .

فالمسيح المبارك لم يدلنا إلى طريق الملكوت بل هو نفسه الطريق ، فلنتمسك به ونحيا له وفيه ولا نحيد عنه لئلا نضل ، كما قيل فى العهد القديم كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه .

ليتك أصغيت لوصايا الله فكان كنهر سلامك وبرك كلجج البحر . فإن قال أحد ماذا افعل ؟ ، مثل الشاب الغنى ، فإن الجواب من المسيح يقول أنت تعرف الوصايا ؟

فالوصايا هى المدخل وهى ضمان المسير فى الطريق .

الملكوت كائن فى حفظ الوصايا :

الذى يحبنى يحفظ وصاياى ... أن حفظتم وصاياى تثبتون فى محبتى .

أما كون السلام كالنهر ، فهو تعبير واقعى عن عمل الروح القدس الذى يهبنا سلام المسيح الخاص ، ليس كما يعطى العالم .

والروح ينبع ويفيض ويجرى كأنهار ماء حى كما قال الرب للسامرية .

وأما البر فهو بر المسيح الذى لا ينتهى ولا يقع تحت حصر أو قياس كلجج البحر ، أى يتحدى كثرة الخطايا ، فإن كانت الخطية هكذا فعلت فى الإنسان موتاً وفساداً وإن كان بخطية واحد جُعِلَ الكثيرون خطاة واجتاز الموت إلى جميع الناس ، فكم بالحرىّ ببر الواحد يسوع المسيح يجعل الكثيرون أبرار « راجع رسالة روميه » .

١٩- وكان كالرمل نسلك وذرية أحشائك كأحشائه ، لا ينقطع ولا يباد اسمه من أمامى .

هذا وعد الله لإبراهيم أن يجعل نسله كنجوم السماء والرمل الذى على شاطئ البحر وأن تتبارك فى نسله - أى فى المسيح - جميع قبائل الأرض . لأن المسيح جمع المتفرقين إلى واحد وهذه البركة لا تختص بالجسد ونسله ولا تنحصر فيه ، بل هى بكل تأكيد تعنى المولودين من فوق - أبناء الله ، أى المؤمنين بالمسيح الذين قبلوه

فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد اللّه المولودين ليس من دم ولا من مشيئة جسد ... بل من اللّه .

وهكذا صار بالفعل إذ أخصب الروح القدس إخصاباً يفوق العقل ويتخطى مقياس البشر ، فصارت الكنيسة تلد بنين روحيين للميراث السماوى ... شئ مهول ففى أول يوم قبلت فيه البشرية عطية الروح القدس ، آمن واعتمد ثلاثة آلاف رجل ، ومن ثَم امتدت نار الروح شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ... وصارت الكنيسة كائنة من أقصاء المسكونة إلى أقصاها ... وهل تستطيع أن تعد أولاد اللّه ؟

٢٠- اخرجوا من بابل واهربوا من أرض الكلدانيين .

هذه وصية إلهيه وإن كانت تبدو فى صورة الأمر لأن الموضوع جد خطير . فالخروج من بابل يعنى الاعتزال من الوسط الشرير وهذا معنى من معانى التقديس ، أى الفرز ، أو التخصيص ، وتبعه على نفس المستوى ، معنى الهروب وبالذات من الزنى والنجاسات .

« اهربوا من الزنى » ... « أما الشهوات الشبابية فاهرب منها » ، فالتقديس بالخروج والهرب ، بالاعتزال

والخروج خارج الدائرة بدون تكاسل أو تسويف أو قلب راجع إلى وراء ... اذكروا امرأة لوط .

بابل هى مملكة الشر والكبرياء ، أرض الكدانيين رمز النجاسات والعبادات المرذولة ، أهرب لحياتك وأطلب النجاة فلا نجاة داخل سدوم أو داخل أرض الكدانيين .

بصوت الترنم اخبروا ونادوا بهذا . شيعوه إلى أقصى الأرض .

الخبر والمناداة هنا هما المناداة بالبشارة المفرحة ، الخبر السار هو الإنجيل - إنجيل الخلاص - وها الأمر أخبروا ، نادوا ، شيعوه إلى أقصى الأرض ، قد تحقق تماماً عندما أرسل الرب يسوع تلاميذه القديسين ، قائلاً اذهبوا ، اكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها **من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن** . وهذا ما تنبأ به المزمور قائلاً **الذين لم يسمع لهم صوت إلى أقصاء المسكونة بلغت** أقوالهم ، فخرجوا وكرزوا بالإنجيل بشارة الفرح والرب كان يثبت الكلام بالآيات التابعة .

قولوا قد فدى الرب عبده يعقوب .

٢١- ولم يعطشوا فى القفار التى سيرهم فيها أجرى لهم من الصخر ماء وشق الصخر ففاضت المياه .

٢٢ – لا سلام قال الرب للأشرار .

أما موضوع الكرازة والمناداة فمحوره عمل الفداء **« قولوا قد فدى الرب عبده يعقوب »** بأن قدم وحيده ذبيحة على الصليب فقتل العداوة ووجد فداء أبدياً .

أما علامات الخلاص وبركات الخلاص فهى كائنه فى سكب الروح القدس الذى يرمز إليه دائماً بالمياه . وسقى المياه ، والشبع من ينبوعه المحيى فالمؤمنين الذين قبلوه لم يعطشوا وهم سائرون فى قفار وبرارى هذا العالم ... من **يؤمن بى فلا يعطش ... أنا أعطى العطشان ماء حياة مجاناً » « كلنا سقينا روحاً واحداً » ... لن يجوعوا بعد ولن يعطشوا بعد »** من يشرب من الماء الذى أنا أعطيه فلن يعطش إلى الأبد ... يا سيد أعطنى من هذا الماء لكى لا أعطش .

ثم أيضاً ماء الحياة الواهب حياة لكل معطش ، قد جرى من الجنب الألهى مختلطاً بدم العهد الجديد سارياً متفجراً من جنب صخر الدهور وكما شرب الشعب قديماً من صخرة واحدة روحية والصخرة كانت تتبعهم والصخرة كانت المسيح هكذا صار على الصليب أجرى لهم ماء من الصخر بل شق الصخرة ففاضت المياه عندما طعنه الجندى بالحربة .

هذه بركات الخلاص والبشارة بها ، ومن هو يا ترى كفؤ لهذه الأمور !!

لا سلام قال الرب للأشرار :

السلام صار بالصليب ، صالح السمائيين مع الأرضيين وقتل العدواة به وصالحنا مع الآب ، هو سلامنا الذى نقض حائط السياج المتوسط وهو ملك السلام ، ورئيس السلام ، وصانع السلام .

فمن له المسيح له الحياة وله سلام مع اللّه بالإيمان « إذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع اللّه » . ومن ليس له المسيح فلا سلام قال الرب للأشرار .



اشعياء ٤٩

١ - اسمعي لي أيتها الجزائر واصغوا أيها الأمم من بعيد . الرب من البطن دعاني . من أحشاء أمي ذكر اسمي .

أختتم الاصحاح السابق بعمل الكرازة والمناداة بأن الرب فدى يعقوب أكمل الخلاص بالصليب وأحدر من السماء أنهار الماء الحي وأشبع شعبه ورواه من ينابيع الخلاص من جنب الصخرة على الصليب .

ويبدأ الروح في هذا الأصحاح بدعوة الأمم أيضاً ، بالجزائر البعيدة الغارقة في بحار هذا العالم ، وكأن ليس لهم إله ومتغربون عن رعوية إسرائيل بل إن الأمم في نظر إسرائيل كانت زيتونة برية مُرّة .

وها كلمة الرب تطرق آذان هذه الجزائر تناديها مناداة الخلاص وبشرى إشراق النور لأن الوعد هو لكم (لليهود)... ولكل الذين هم على بعد كل من يدعوه الرب، هكذا نطق الروح القدس بفم أبينا بطرس الرسول في يوم الخمسين .

٢ - وجعل فمي كسيف حاد . في ظل يده خبأني

وجعلني سهمًا مبريًا . في كنانته أخفاني .

٣- وقال لى أنت عبدى إسرائيل الذى به أتمجد .

لقد عرفت الأمم إسرائيل القديم ، إسرائيل الافتخار والتعالى ، إسرائيل الحرف والناموس ، إسرائيل التعصب والانعزال ...

واليوم ها إسرائيل الجديد يُستعلن للأمم فى شخص المخلص ، فآدم الأول من الأرض ترابى وآدم الأخير الرب من السماء . كما فى آدم يموت الجميع ، كذلك فى المسيح سيُحيا الجميع . وإسرائيل الأول أب أسباط الجسد ، وإسرائيل الجديد أب اسباط الروح المولودين من فوق إسرائيل الجديد ، رأس الخليقة الجديدة ، فهو الابن الوحيد الذى جمع فى نفسه أبناء الله المتفرقين إلى واحد مثل الكرمة الحقيقية ورأس الكنيسة ومخلص الجسد .

من أحشاء أمى ذكر اسمى ...

يدعى اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم ، هكذا بشر الملاك جبرائيل العذراء مريم ، وهكذا فى يوم ختانه دعى اسمه يسوع كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به فى البطن - أيضاً اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا . وجعل فمى سيف حاد : هذا ما رآه القديس يوحنا

فى رؤياه حين رأى المسيح الإله وعاين مجده ووجهه يضئ كالشمس فى قوتها ومن فمه يخرج سيف من نار الذى هو كلمته الحية الفعالة التى هى أمضى من كل سيف ذى حدين ، فى فعلها وفى قوتها .

أما قول الروح : **فى ظل يده خبأنى ، فى كنانته أخفانى .**

فهذا يطابق ما قاله القديس يوحنا عن الكلمة التى كان عند الله ، والكلمة صار جسداً ورأينا مجده ، ثم عاد يقول الحياة أظهرت أى كانت مخفية عند الآب وأظهرت لنا ... الله لم يره أحد قط ... الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبّر .

+ وقال لى أنت عبدى إسرائيل الذى به أتمجد .

هذا هو إسرائيل الجديد ، الذى مجد الآب فى كل فعل وقول ويكفى أن تسمع من فم المسيح « **أنا مجدت اسمك على الأرض** » ، لكى تدرك أن الآب به قد تمجد إلى كل الملء والكمال . فلم تمجده خليقة ما فى السماء وعلى الأرض كما مجدته الخليقة الجديدة فى المسيح يسوع .

كل من يراجع التاريخ المقدس يعلم يقيناً كيف أن

إسـرائيل قديماً فـشـل فـى أن يمـجـد اللّه ، بل كـان شـعب صـلب الرقبة ، عـنيداً كاسـر الوصايا مرتـداً بقلبه ، كم من مـرة أغـاظوا الـرب وكـاد يفـنيـهـم ، وكم مـن مـرة تمردوا عليـه. كـان الـقـصـد الألـهـى أن يكون إسـرائيل قـديماً أداة استعلان لمجد اللّه ، ومعامـلات اللّه ، ولكن لم يتحقق شئ من ذلك بل علـى العكس **« تركـونى أنا ينبـوع الماء الحـى ، أعطـونى القـفا لا الوجـه »** . صـار بسـبـبـهـم يجـدف علـى الاسم الـحسن إذ قد صار لهم صـورة التقوى لكنهم أنكروا قوتها ، فكيف اذن يتمـجد اللّه فى هـذا ؟

اما إسـرائيل الجديـد - يسـوع المسـيح - فقـد أعلن الآب من الـسـمـاء **« هـذا هـو ابنى الـحـبيب له اسمـعوا »** ، وتمـجد به الآب واسم الآب ليس فى وسـط اسرائـيل بل وإلى أقصى الأرض.

٤ - أما أنا فقلت عبثًا تعبت باطلاً وفارغًا أفنيت قدرتـى . لكن حقى عند الرب وعملى عند إلهى .

قال اشعياء أيضاً يارب من صـدق خـبرنا ولمن استعلنت ذراع الـرب ؟

فـهو أخلـى ذاته آخذًا شـكـل العـبد ووضـع نفـسـه وأطاع حتى الموت مـوت الصـليب !!

لكن من قَبِلَ واقبل ؟ ومن آمن وصدق ؟

لقد رفضوه كما رفضوا موسى الذى كان رمزاً له قائلين : « من أقامك رئيساً او قاضياً » .

جاء إلى خاصته وخاصته لم تقبله ، بل رفضوه حتى قالوا اصلبه اصلبه ، وها لسان حال المسيح من جهة الرافضين يقول : عبثاً تعبت وفارغاً افنيت قدرتى ، كما قال الرب لأورشليم كم مرّة أردت أن أجمع أولادك ... ولم تريدوا .

وكأنه مات بلا سبب وكأن صلبه صار بلا ثمر ... هذا من جهة الرافضين فقط .

٥- والآن قال الرب جابلى من البطن عبداً له لإرجاع يعقوب إليه فينضم إليه إسرائيل فأتمجد فى عينى الرب وإلهى يصير قوتى .

٦- فقال قليلٌ أن تكون لى عبداً لإقامة أسباط يعقوب ورد محفوظى إسرائيل قد جعلتك نوراً للأمم لتكون خلاصىَ إلى أقصى الأرض .

هكذا وبكل جلاء تظهر دعوة المسيح وعمل خلاصه أنها ليست لإسرائيل فقط بل للأمم أيضاً ، لم ينحصر المسيح قط فى جنس أو لون أو عرق ، بل جمع الجميع فى نفسه

وفى المسيح يسوع ليس عبد وحر بربرى وسكيثى ، ختان وغرلة ... بل هكذا أحب الله العالم ، وهو الذى قال لتلاميذه أذهبوا إلى جميع الأمم وعلموهم وعمدوهم ، قال ايضاً تكونون لى شهوداً فى أورشليم واليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض . فإن كان قد أرسل إلى خاصته فهم إذ لم يقبلوه ، أعطى الذى قبلوه سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، سواء كانوا من اليهود أو من الأمم على السواء .

لكن تأمل قول الرب « قليل أن تكون لى عبداً لإقامة اسرائيل » ، حقاً إن عمله الالهى اكبر من أن يحد فى خلاص اسرائيل ، قدم ذبيحة فيها الكفاية لغفران الخطايا، ليس خطايانا فقط بل خطايا العالم كله . فمهما تعاظمت الخطايا ففيض النعمة اكثر جداً إذ أن الدم الإلهى الذى بروح ازلى يستطيع أن يطهر العالم منذ بدء الخليقة وحتى إلى كمال الدهور .

قد جعلت نوراً للأمم ، أليس هذا ما أستعلن لسمعان الشيخ ، فقال « نوراً تجلى للأمم » .

تُرى كيف تجلى نور الأمم لعينى ذلك الشيخ الطاعن فى الأيام بعد أن كلت عينيه ؟ نعم أنه صار نوراً للأمم ، هو نور العالم ، وهو نور من نور ، والساكن فى النور الذى لا

يُدنى منه ... والشعب الجالس فى الظلمة ابصر نوراً عظيماً والجالسين فى الظلمة وظلال الموت أشرق عليهم نور.

شاكرين اللّه الآب الذى أهلنا لشركة ميراث القديسين فى النور ، الذى أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته .

لقد دخل المسيح إلى العالم المظلم ، ظلمة الخطية والموت فأنار لنا الحياة والخلود ، هو نور الآب ، هو نور الحياة ، والحياة كانت نور الناس ، هذا النور غير المخلوق ليس نوراً لعين الجسد ، بل هو نور لحياة بالروح لعينىْ الأرواح التى انطمست بصيرتها ... انظر وتأمل كيف فتح المسيح عينى المولود أعمى فانفتحت بصيرته لما عاين ابن اللّه وسجد له !!

لتكون خلاصى إلى أقصى الأرض .

كيف تدرك أقصى الأرض ، بسرعة مذهلة ينتقل النور وينتشر ، أن أقصى سرعة فى عالم المادة ، هى سرعة الضوء ، فكم بالحرى بزيادة المسيح إلهنا ، عندما أشرق جسدياً من العذراء ، غشى النور الإلهى كل الأرض إلى أقصاها ، وبشرى الخلاص سرت كسريان النور وفى غير

زمن كانت كرازة الذين لم يسمع لهم صوت قد بلغت أقطار المسكونة كلها ... يا للعجب .

٧- هكذا قال الرب فادى إسرائيل قدوسه للمهان النفس لمكروه الأمة لعبد المتسلطين . ينظر ملوك فيقومون . رؤساء فيسجدون . لأجل الرب الذى هو أمين وقدوس إسرائيل الذى اختارك .

هنا تبلغ المضادة أقصاها ، أن المخلص الذى هو نور الأمم والقادر أن يخلص ليس إسرائيل فقط بل وكل العالم ، يعود فيدعوه الوحى الإلهى مهان النفس ومكروه الأمة وعبد المتسلطين ، وهذا ما حير اليهود بل صار لهم حجر عثرة وصخرة شك .

ولكن هذه هى حقيقة التجسد ، لقد أخذ شكل العبد ، ووُجد فى الهيئة كإنسان ووضع نفسه عبداً للطاعة ... حقاً عجيب هو سر التقوى وسيظل عجيباً إلى الأبد .

لعل يقال عن المسيح مهان النفس ؟

وهل يقال عنه مكروه الأمة ؟

نعم لقد صار مكروهاً من الأمة الخاطئة الشعب الثقيل الإثم . جاء إلى خاصته وخاصته لم تقبله !! ، ورفضوه

كما تنبأ عنه المزمور « رفضوني أنا الحبيب مثل ميت مرذول » .

أهين ، بل احتمل العار مستهيناً بالخزى كقول الرسول بولس . بل تفلوا عليه ، بل لطموه على خده ، بل عروه وجمعوا عليه كل الكتيبة ، بل كانوا يستهزئون به وألبسوه ثوباً أرجوانياً ...

مهان النفس ! ياللعجب ، لقد حصل الجميع في مهانة الخطية وهوان النفس وأهواء الهوان ، فقَبِلَ أن يكون مهاناً لكي يرفع عارنا وقَبِلَ أن يموت تحت لعنة الصليب ليرفع اللعنة إلى الأبد ... فلنسبحه ونزيده علواً .

+ **مكروه الأمة ، عبد المتسلطين .**

مصدر الحب صار مكروهاً .

وسيد كل الخليقة صار عبداً للمتسلطين . احبهم إلى المنتهى ... حتى الصليب ، إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله ، كرهوه ورفضوه كما رفضوا موسى في القديم قائلين **من أقامك قاضياً** ...

صار مكروهاً حتى صرخوا قائلين **أصلبه أصلبه** ... دمه علينا وعلى أولادنا ولكن هل غلب الكره والعداوة فيض حبه ؟ حاشا .

وفى خضوعه لكل سلطان إذ أخذ شكل العبد وضع نفسه وهو واقف أمام بيلاطس بدا كأنه فعلاً أحصى مع الأثمة ، وسلم نفسه . ذاك الذى له سلطان الحياة ... استخدموا سلطانهم قائلين بفم بيلاطس : ألا تعلم أن لى سلطاناً أن أصلبك ... لكن الرب رده قائلاً : **ليس لك علىَّ سلطان ما لم تكن قد أعطيت من فوق .**

ما أعجب أعمالك يارب كلها بحكمة عجيبة صنعتها ومن أجلنا احتملت العار مستهيناً بالخزى ، قبلت أن تكون مكروهاً لكي نصير نحن محبوبين فيك لدى الآب . وعندما جاءت ساعتهم وسلطان الظلمة ، أسلمت ذاتك بإرادتك وحدك وصرت كمن لا تملك حريتك ، ربطوك وقيدوك ، وسمروك على خشبة - أنت حامل كل الخليقة ومسيرها بأمرك ... لك المجد .

+ ينظر ملوك فيقومون . رؤساء فيسجدون ...

فإن كان الرب قد أخلى ذاته وأخذ شكل العبد وصار مهان النفس مكروه الأمة عبد المتسلطين ، إلا أنه هو الإله الحقيقى كلى القدرة والعظمة والسلطان ، الذى وضع قليلاً عن الملائكة يسوع نراه مكللاً بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت ، كما شهد القديس بولس الرسول فى

العبرانيين، فمجده من يصفه وملكوته أبدى أزلى لا يزول.

فهو فى حال إخلائه العجيب لم يزل إلهاً قديراً ، فى حال القبض عليه ألم يبرئ أذن العبد ملخس !؟ ، ألم تُرهِبْ عظمته الجند حتى رجعوا إلى وراء وسقطوا منطرحين من بهاء عظمة مجده غير المنظور ولا مقترب منه !

ألم يهابه بيلاطس وصار متحيراً حتى غسل يديه يطلب أن يكون بريئاً من دمه . ألم تتألم امراة بيلاطس الليلة كلها من أجل بره .

ألم يشهد له قائد المئة بعد موته على الصليب مؤمناً أنه ابن اللّه .

الملوك قلوبهم فى يد اللّه كجداول مياه ، لذلك عندما يرونه يقومون من على كراسيهم إذ هو ملك الملوك ورب الأرباب ، يعبده الملوك وتسجد له الرؤساء ليس فقط ملوك الأرض ورؤسائها بل الملائكة ورؤساء الملائكة ، عندما رأوا مجد اتضاعه وبذل صليبه ستروا وجوههم من بهاء عظمة مجده غير المنظور ولا منطوق به .

٨- هكذا قال الرب . فى وقت القبول استجبتك وفى

يوم الخلاص أعنتك . فأحفظك وأجعلك عهداً للشعب لإقامة الأرض لتمليك أملاك البرارى .

٩- قائلاً للأسرى أخرجوا . للذين فى الظلام اظهروا . على الطرق يرعون وفى كل الهضاب مرعاهم .

هوذا اليوم يوم خلاص والوقت وقت مقبول ... فإن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم ، هكذا هو مكتوب وهكذا تنبأ المزمور والأنبياء عن يوم الخلاص يوم الصليب وعن وقت القبول والخلاص الذى فتش عنه الأنبياء الذين تنبأوا ، باحثين أى وقت أو ما الوقت الذى كان يدل عليه روح المسيح الذى فيهم إذ سبق فشهد بالآلام التى للمسيح «١ بط ١ :١١» .

إذاً الحديث هنا بكل وضوح عن يوم الصليب وكيف أن الآب يقول لصانع الخلاص ودائس المعصره وحده ، لمكروه الأمة ، لمهان النفس ، لعبد المتسلطين ، يقول له **فى وقت القبول استجبتك وفى يوم الخلاص أعنتك .**

لقد حصل لنا المسيح بصلبه كل رضى الآب وكل غفران للخطايا ، وهو يقول بلسان المرنم بسطت اليك يدىّ طول النهار فاستجب لى عاجلاً فقد فنيت روحى ... ففى الحال انشق حجاب الهيكل إلى اثنين علامة الصلح ،

وتفتحت القبور وقام الأموات علامة انكسار الموت .

فما سأله المسيح المصلوب بذبيحة نفسه نال قبولاً فورياً من الآب الذى سر بأن يسحقه بالحزن ، ولكن هذه ذبيحة رضى وذبيحة مسرة الآب ، فوجد فداء أبدياً .

قد أكمل المسيح له المجد كل المطالب ، دفع كل الثمن ، وفّى كل الديون ، عبر المعصره داسها وحده ، كل الام الجسد وحمل الخطايا الرهيب ، الرب وضع عليه أثم جميعنا لذلك يقول له فى يوم الخلاص أعنتك ، حتى قال قد أكمل . هو واحد مع الآب الذى أرسله ، الذى استجاب له والذى أعانه ، لم ينفصل عنه لا لحظة ولا طرفة عين . هو والآب واحد ، فلم تكن المعونة تأتيه من الخارج ولا من أخر بل من الآب الحال فيه الذى هو واحد معه .

+ فاحفظك واجعلك عهداً للشعب لإقامة الأرض لتمليك أملاك البرارى . قائلاً للأسرى أخرجوا . للذين فى الظلام اظهروا .

أعطانا المسيح عهداً جديداً ببذل دمه « **هذا هو العهد الجديد بدمى** » ... لا كالعهد الأول عهد الناموس ، بل أجعل نواميسى فى أذهانكم وأكتبها على قلوبهم ... بدل لوحىْ الحجر !!

وهذا العهد هو عهد القيامه ... ، لإقامة الأرض ، بدلاً من عهد الموت وعهد الخطية . وكما ملكت الخطية بموت الواحد (آدم) ، هكذا يملك البر بقيامة الواحد (المسيح) .

وهو عهد الملكوت (لتمليك املاك البرارى) ... وملكوته مالا ينقرض ولا يزول ... ولكن مملكته ليست من هذا العالم ... لقد ملك بالصليب على الأرض كلها وعتق بموته مسبيى الموت، فصار لهم بشرى القيامة قائلاً للأسرى أخرجوا... الأسرى هنا اسرى الجحيم ، وللذين فى الظلام اظهروا ... الجالسين فى ظلال الموت أشرق عليهم نور قيامته . سبَى سبياً ، رفع قديسيه إلى العلا معه ، فظهروا وقاموا من القبور واصعد آدم وكل الراقدين على الرجاء ، اصعدهم فى ذاته فى جسم بشريته وأعادهم إلى فردوس الفرح مرة أخرى فظهروا وتراءوا بالمسيح أمام الآب ، حين تراءى هو بجسدنا فوجد فداءً .

+ على الطرق يرعون وفى كل الهضاب مرعاهم .

لا يجوعون ولا يعطشون ولا يضربهم حر ولا شمس لأن الذى يرعاهم يهديهم ، وإلى ينابيع المياه يوردهم . غنم رعيته . شعبه الذى اقتناه بالصليب ، هؤلاء هم المفديون بدم الخروف كما رآهم يوحنا الرائى .

لا جوع ... فالمسيح هو خبز الحياة الأبدية ، للشبع الأبدى والكفاية ، لا عطش ... لقد كفّوا عن شرب مياه العالم الذى كل من يشربه يزداد عوزاً وعطشاً .

ينبوع الدم والماء الجارى من جنب الصخرة (المسيح) يروى إلى حياة أبدية .

من آمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه انهار ماء حىّ . من يشرب من الماء الذى أنا أعطى فلن يعطش إلى الأبد .

هذا هو كلام المسيح الإله ومواعيده التى بلا ندامة ... متى نشبع من دسم بيتك فلا نجوع ولا نعطش إلى ما هو خارج عنك ؟

الأكل صارجسده . ذبيحة وخبزاً معاً .

الشرب صار دمه . دم وماء فاضا من جنبه .

فما حاجتنا بعد إلى العالم حيث خبز السخرة وخرنوب الخنازير والماء الآسن المر ؟

لا حر ... ولا شمس

لا تحرقك الشمس بالنهار كقول المزمور ، لأنه يظلل على يدك اليمنى « تحت ظله اشتهيت أن أبيت » ، هكذا

شهدت عروسُه فى النشيد . قديماً قالت « شمس التجارب لوّحتنى » ، أما اليوم فلا سلطان لهذه الشمس أن تضرب أولاد اللّه . الساكن فى ستر العلى فى ظل الإله القدير يبيت .

المسيح هو شمس البر الذى يحمى من ضربة شمس العالم ، وشمس التجارب الحارقة .

أما ما سجله القديس يوحنا فى رؤياه عن المفديين أنهم لن يجوعوا بعد ولن يعطشوا بعد ولا يقع عليهم شئ من الحر ، وأن المسيح يقتادهم إلى ينابيع ماء حية وأنه يمسح كل دمعة مَن عيونهم ، فهذا المنظر البهيج والميراث الأبدى هو هو تكميل لكلمات هذه النبوة العجيبة ، فما نحياه ونناله كعربون الروح سنتمتع بكماله فى ملكوت المسيح فى السموات .

أما كيف يقتادهم إلى ينابيع ماء الحياة ، فهذا سر حياة السمائيين ، أنهم إذ قد أسلموا ذواتهم بالكمال وعاشوا بالروح وسلكوا بالروح وهم بعد فى الجسد . فإذا ما تمموا خلاصهم وصاروا مستحقين بنعمته لنوال الميراث ، فإن مجدهم يكون فى تبعيته ومعيته إذ قد صلبوا الجسد والأهواء وذبحوا إرادتهم الخاصة ، فصار هو مركز

فرحهم ومركز انجذابهم ومركز مجدهم وهم فيه يسيرون وبه يحيون إلى أبد الآبدين ، وهو يقتادهم من مجد إلى مجد فى ينابيع الروح التى لا توصف نحو الشبع الأبدى والارتواء من أنهار حبه الحانى الفائق المعرفة .

١١- واجعل كل جبالى طريقًا ومناهجى ترتفع .

١٢- هؤلاء من بعيد يأتون وهؤلاء من الشمال ومن المغرب وهؤلاء من أرض سينيم .

١٣- ترنمى أيتها السموات وابتهجى أيتها الأرض لتشد الجبال بالترنم لأن الرب قد عزّى شعبه وعلى بائسيه يترحم .

من بعيد ، من الشمال ، ومن المغرب ، كل الذين هم على بُعْد كل من يدعوه الرب كان الرب يضم كل يوم إلى الكنيسة الذين يخلصون بإيمان يسوع المسيح ويعتمدون لموته ويقومون لجدّة الحياة ، وقد شبه الوحى حال هذه النفوس كمن يرجع من السبى ، من أرض سبيهم ، فالخطية هى السبى الأعظم الذى فدى المسيح المخلص عبيده من عبوديته ورد سبيهم وإعادهم إلى الحياة مرة أخرى .

ترنمى أيتها السموات وابتهجى أيتها الأرض ... بنعمة

الخلاص وعمل المسيح الفادى » . فكما كانت الخطية سبب نكبة للخليقة كلها حتى تئن وتتمخض ، هكذا بالأحرى وبالأكثر كثيراً تصير النعمة سبب بهجة وفرح فى السماء وعلى الأرض ، يكفى أن تتأمل تسبحة الملائكة فى يوم ميلاد مخلصنا « **المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام** » فالسماء تفرح برجوع الخطاة ، والأرض تبتهج لأن قدمى مخلصنا تطأها ، صارت السماء كرسى اللّه والأرض موطئ قدميه ، وقد غطى الفرح كل من السماء والأرض ، والروح والجسد معاً .

الرب قد عزى شعبه وعلى بائسيه يترحم :

منذ بداية الأصحاح الأربعين « **عزوا عزوا شعبى** » وينبوع التعزية يفيض بغزارة من كلمات النبوة العجيبة... وبركات الخلاص تستعلن بأكثر جلاء .

وما تأملناه فى الآيات السابقة من استعلان الخلاص وأعمال المسيح المخلص ورد المسبيين ، هذا يعبر عنه الوحى أن الرب عزى شعبه وعلى بائسيه يترحم ، هى فيض تعزيات الروح القدس المعزى وأحشاء مراحم الآب القدوس تتحرك نحو (بائسيه) ، أى المساكين بالروح كما سماهم المسيح المبارك « طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات » .

١٤- وقالت صهيون قد تركنى الرب وسيدى نسينى .

إذ كانت صهيون غارقة فى خطايا وانحرافات فقد أعمى الشيطان عينيها وقد ثقّل العدو أذنيها فلم ترَ أعمال اللّه ولا هى سمعت صوته ، فقالت إذ قد رأت حال نفسها وقد أدركها البؤس والشقاء ، وإذ فتشت على عريسها فلم تجده مع أنها هى التى رفضته ، قالت قد تركنى الرب .

وإذ شعرت بالتخلى قالت سيدى نسينى ، ونسيت أن سبب التخلى هو الخطايا ... خطاياكم حجبت الخير عنكم ، كمثل أيام آخاب الذى باع نفسه للشر فانحجب مطر السماء بسبب تركهم الرب .

تأمل الكلمات السابقة فى ذات الأصحاح ... مواعيد وإعلانات وبشارة الخلاص ، ولكن صهيون لم تسمع ولم ترَ ... قال الرب قبيل آلامه وهو يبكى على أورشليم ... لو كنت تعلمين ما هو لخلاصك ، ولكنه قد أخفى عن عينيك، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما يجمع الطائر فراخه تحت جناحيه ولم تريدوا ...

ولكن إذ سمع الرب صهيون تقول هذا الكلام أن الرب تركنى وسيدى نسينى ، ألا يجيب ؟ ، من عجب أنك ترى باقى الأصحاح ، إن هو إلا إجابة عجيبة على هذا السؤال

أظهر الرب فيه عمق الحب الإلهى والعناية والمواعيد شئ يتعجب منه بالحق .

اسمع كلام الرب ... وجوابه .

هل تنسى الأم رضيعها فلا تنسى ابن بطنها حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك . آه علي صهيون لو كانت تعى هذه الحقيقة ، الآن نحن أولاد الله ، هو صنعنا وليس نحن، ونحن شعبه وغنم رعيته ... لقد ولدنا منه ، مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى فهل ينسى؟ إن نسيت الأم الرضيع ، وهذا أمر مستحيل فمغروس فى طبيعة الأم الحب والاهتمام البالغ نحو رضيعها أنه أمر غريزى يستحيل أن يخطئ أو يزول ، أنه قانون موضوع فى صميم تكوين الخليقة ، فإن كان هكذا الأمر مع الطبيعة المخلوقة ، فهل ينسى الخالق ؟!!

حتى إن اخطأت الغريزة وانحرفت الطبيعة فحاشا لله أن يخطئ أو ينسى فلا يرحم بنيه أو يترك مختاريه .

١٦- هوذا على كفى نقشتك . أسوارك أمامى دائماً .

فى القديم كان الإنسان ينتسب إلى الله كجابله وصانعه ، هو صنعنا وليس نحن ، اما وقد تجسد وتأنس ، فقد اتحد بطبيعتنا وصيرها واحداً معه ، وإذ جدد خلقتنا

أعطانا روح البنوة فصرنا به وفيه أبناء اللّه الحى ... قد اختلف وضع الإنسان وتغيرت صلته باللّه فها هو يقول للكنيسة « صهيون الجديدة » هوذا على كفى نقشتك ... ها آثار المسامير فى يديه أراها أيها بعدما قام ... انظروا يدى ...

فهل تزول آثار مسامير حبه وعلامات صليبه الغالى ؟

يا نفسى ليتك تذكرى هذا المعروف العجيب كلما تطلعت إلى صليبه ، لقد نقشت المسامير اسمك وصورتك وأبديتك على يديه بإرادته .

+ أسوار أورشليم القديمة كانت تحميها من شر الأشرار وغارات المغيرين عليها ، بينما أسوار اريحا لم تقف أمام الطواف حولها بتابوت عهد اللّه وإيمان الشعب وهتاف أبواق الكهنة ...

فالرب أحب أبواب صهيون ، وعلى أسوار أورشليم أقام حراساً لا يسكتون كل النهار ولا كل الليل ، حراسات التسبيح التى تسيج حول الكنيسة فى كل أجيالها ... لذلك صارت أسوارها أمامه فالطلبة والتسبيح يدخلان إلى حضرته كرائحة بخور يشتمه رائحة رضى فتزيد حفظه لها وحمايته إياها بجيش ملائكة يحفظونها من كل ما فى

العالم . ما أسعد النفس حينما تحتمى فيه وما أكثر سلام الكنيسة المحوطة ببخور الصلاة وسهر التسبيح كسور منيع .

١٧- قد أسرع بنوك . هادموك ومخربوك منك يخرجون .

١٨- ارفعى عينيك حواليك وانظرى . كلهم قد اجتمعوا أتوا إليك . حى أنا يقول الرب إنك تلبسين كلهم كحلى وتتنطقين بهم كعروس .

هى حركة الروح قوية تدب فى الأوصال الميتة كما رآها حزقيال النبى ... قيامة العظام ...

ولكنها تحتاج إلى رؤيا وعين ترتفع إلى فوق بإيمان وتصديق ، لذلك يقول الرب لصهيون ارفعى عينيك حواليك وانظرى ، بعين المسيح ، بعين مستنيرة برؤى اللّه ... ترى كيف يقيم من الأموات ويفتح أعين وقلوب العميان .

بنوك يسرعون ، يأتون اليك ، هو يناديهم بمناداة الخلاص وبشارة الإنجيل **« كان الرب كل يوم يضم الذين يخصلون »** ... وعمل الروح سريع قوى ... قد أسرع بنوك... بينما ينسحب الشيطان مقهوراً ذليلاً بعدما عمل

فى الهدم والخراب ... هدم النفوس وخرابها .

هادموك ومخربوك منك يخرجون ... ، وكانت **شياطين تخرج من كثيرين وهى تصرخ** ، ... ، **أخرج أيها الروح النجس** ، ... ، **أنا آمرك أن تخرج منه** ، ، وإذ يتكاثر عدد أولاد اللّه يجتمعون إليها ككنيسة واحدة ... كان لجميع الذين آمنوا قلب واحد ، ونفس واحدة ... وحدانية عجيبة لم تعرفها البشرية من قبل ، ، **مسرعين إلى حفظ وحدانية الروح** ، ... قد أسرع بنوك ... هنا تستعلن الكنيسة كعروس للمسيح ، متزينة ومُجمّلة جداً ، ولكن ليس بزينة وجمال من هذ العالم ... بل أولادها يصيرون زينتها يا للعجب من هذا الوصف . فهى تلبسهم كحلى تتراءى بهم أمام العريس . وتتنطق بهم كمنطقة العروس المزينة لرجلها .

هكذا صار القديسون فى كل أجيال الكنيسة ، زينوا الكنيسة ، ومازالت تتزين بأيقوناتهم وتتجمل جداً فى نظر المسيح بهم .

انظر إلى فضائلهم ، تأمل إخلاصهم ، انظر إلى نهاية سيرتهم وتمثل بإيمانهم ، أبطال الإيمان كأثناسيوس وديستورس وكيرلس الكبير والوف والوف . أبطال

الاستشهاد مارجرجس ومارمينا وأبوسيفين والقديسة دميانة ... وربوات ربوات .

أبطال النسك والعبادة وحمل صليب المسيح انطونيوس ومكاريوس وباخوميوس ، واعداد بلا حصر لقد لبستهم الكنيسة كلهم وظهرت بهم كأبهى عروس .

١٩ - إن خربك وبراريك وأرض خرابك إنك تكونين الآن ضيقة على السكان ويتباعد مبتلعوك .

٢٠ - يقول أيضًا فى أذنيك بنو ثكلك . ضيّق علىّ المكان وسّعى لى لأسكن .

٢١ - فتقولين فى قلبك من ولد لى هؤلاء وأنا ثكلى وعاقر منفية ومطرودة . وهؤلاء من ربّاهم . هأنذا كنت متروكة وحدى . هؤلاء أين كانوا .

بدون عمل الخلاص تكون الأرض خربة ، أرض خراب ، لأن لا ماء ولا سقى ، لا روح ولا حياة . فما أن تدرك بركات الخلاص ومطر الروح الأرض ، حتى تدب فيها الحياة وتنبت فتصير كجنة ريّا ، ويتبع هذا أن يصير عمار بدلاً من الخراب ، ويسكن السكان بدلاً من القفر الموحش ، هذا هو الحال مع الكنيسة .

عندما أدركتنا نعمة المسيح وبركات الخلاص ، كانت

الكنائس تبنى وبنعمة الروح القدس كانت تتكاثر ، فالروح أخصبها فتكاثرت بقوة وسرعة فائقة ، عمل مذهل لا يصدقه عقل ، حتى أنه يقول تكونين الآن ضيقةً على السكان إذ قد تكاثر بنوها وازدحموا وسطها الوف الوف وربوات ربوات . أما العدو الذى كان قد ابتلعها فى القديم فإنه يطرد « يتباعد مبتلعوك » بل قيل أنه قد ابتلع الموت إلى غلبة ، أى ابتلع المبتلع ، وداس الموت بموته.

يقول أيضًا فى أذنيك نبو ثكلك ضيّقٌ علىّ المكان .

المرأة الثكلى هى التى فقدت ابنها بالموت ، فبنوثكلها أى أبناءها المائتين ، هؤلاء أقامهم الرب بقيامته « إذ كنتم أمواتًا بالذنوب والخطايا ... أقامنا معه » ، فهؤلاء هم آية المسيحية العظمى ، الراجعين بالتوبة إلى اللّه ، فى عرف الروح كانوا أمواتًا وأقامهم المسيح بقيامته ... « ابنى هذا كان ميتًا فعاش » .

فتقولين فى قلبك من ولد لى هؤلاء

هم قائمون من الأموات بالمسيح ، وهم أيضاً « مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة اللّه الباقية » ، ولسان حال الكنيسة الحية يقول من ولد لى هؤلاء ؟ ومن رباهم !؟

لقد كانت متروكة وحدها ، عاقر بلا خلفة ولا نسل الروح ، مطرودة ومهجورة الروح - فماذا كان الثمر سوى الموت والخراب .

فلما ظهر صلاح مخلصنا نجانا بغسل الماء وتجديد الروح والقيامة من الموت .

٢٢- هكذا قال السيد الرب ها إنى أرفع إلى الأمم يدى وإلى الشعوب أقيم رايتى . فيأتون بأولادك فى الأحضان وبناتك على الأكتاف يُحمَلْن .

٢٣- ويكون الملوك حاضنيك وسيداتهم مرضعاتك . بالوجوه إلى الأرض يسجدون لك ويلحسون غبار رجليك فتعلمين أنى أنا الرب الذى لا يخزى منتظروه .

راية الرب هى علامة الصليب ، علَمْ الخلاص ، « رايته **فوقى محبة** » هذه التى أظهر حبه الأبدى بها واشترى بها قلب عروسه سواء من اليهود أو من الأمم ...

هى راية السلام ... جاء وبشركم بالسلام أنتم القريبين والبعيدين ... وبالصليب قتل العداوة وصالح السمائيين مع الأرضيين .

فهو يرفع يده التى بها أثر المسمار إلى الأمم فيجتذبهم إلى حبه والإيمان به ، ويقيم رايته معلناً قبول الجميع

«هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد» فيأتون بأولادك – أولاد الله – فى الاحضان ، وبناتك محمولين بكرامة كالرجوع من السبى وكالقيامة من الأموات ... ولكن ما هذه الاحضان ... أنها احضان ملوك واباطرة ، يتحولون من مضطهدين إلى مؤمنين ومن متلفين للكنيسة إلى أبناء للبناء والتعمير مكرسين كل سلطانهم ومخضعين أنفسهم تحت أقدام الصليب .

هذا ما كمل بالتمام فى حينه حينما انقضت ازمنة الاستشهاد فى القرون الأولى وتملك الملك البار قسطنطين الكبير ، فصار الملوك بالوجوه إلى الأرض يسجدون ويعبدون بالخضوع ، وصار الصليب يعلو هامات رؤسهم مزيناً تيجان الملوك . حينئذ استعلن كلام الرب ومجده فى كنيسته إذ كملت مواعيده التى تنبأ بها انبياؤه ، فطوبى لمن ينتظر بصبر مواعيد الله فإنه لا ولن يخزى أبداً .

٢٤– هل تُسلب من الجبار غنيمة وهل يفلت سبى المنصور .

٢٥– فإنه هكذا قال الرب حتى سبى الجبار يسلب وغنيمة العاتى تفلت . وأنا أخاصم مخاصمك وأخلص أولادك .

٢٦ - وأطعم ظالميك لحم أنفسهم ويسكرون بدمهم كما من سلافٍ فيعلم كل بشر أنى أنا الرب مخلصك وفاديك عزيز يعقوب .

عاد الرب إلى التشبيه القريب إلى الفهم لكى يثبت مواعيده العظمى والثمينة ، فبعد أن قال أنه أن نسيت الأم الرضيع فأنا لا انساك ، يعود فيقول إن كان سبى الجبار يفلت من يده وغنيمة العالى تستطيع الفرار ، أما أنا فامسك بخصمك ولن يفلت من يدى ، وأنتقم من عدوك ولن يستطيع الفرار . هذه قدرة المخلص واقتدار الهنا ، من هو عدو جنسنا سوى الموت ... العدو الأخير الذى يبطل والموت هو قوة الخطية ، الخطية دخلت إلى العالم بحسد إبليس لذلك جاء وقت العقاب ، وقت فك المسبيين ، وقت دينونة الخطية وهل تستطيع أن تفلت ؟

لقد سحق المسيح الشيطان بالصليب أهان جبروته وسلطانه الوهمى وكسر شوكة الموت ، أين شوكتك يا موت ؟

وهز أعتاب الجحيم أين غلبتك يا هاوية ؟

أليس هذا صراخ ما قبل الخلاص يردده المزمور قائلاً **«خاصم يارب مخاصمىّ ، قاتل مقاتلىّ امسك مجنًا وترسًا وانهض إلى معونتى »** مز ٣٥ .

وهكذا إذ سحق الشيطان ودك متاريس الجحيم ، خلص أولاده من قبضة الموت .

وأطعم ظالميك لحم أنفسهم .

الذين يُسخِّرهم الشيطان ويدفعهم لظلم الكنيسة واضطهادها ، لهم من اللّه هذا الوعيد ، أنهم يأكلون بعضهم بعضاً وينقسمون على أنفسهم حتى يأكلوا لحم بعضهم ويشربون دم بعضهم كمثل الخمر ، وإذ يعطشون إلى سفك الدم يتحولون فيشربوا دم أنفسهم عوض دم الشهداء الذى سفكوه ظلماً .

ما أجمل قول أدونى بازق الملك الوثنى الذى كان يقطع أصابع أيدى وأرجل الملوك الذين يسبيهم ، وحينما وقع هو فى يديى إسرائيل وفعلوا به هكذا قال « **كما فعلت كذلك جازانى اللّه** » قض ١ : ٧ .

هنا يستعلن أمام كل العالم « **كل بشر** » مجد المخلص والفادى حين يتمجد فى أعداء بيعته والذين ظلموا وضايقوا أولاده يجازيهم ضيقاً .



اشعياء ٥٠

١ – هكذا قال الرب . أين كتاب طلاق أمكم التى طلقتها أو من هو من غرمائى الذى بعته إياكم . هوذا من أجل آثامكم قد بعتم ومن أجل ذنوبكم طلقت أمكم .

مكتوب فى ناموس موسى « إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها فإن لم تجد نعمة فى عينيه لأنه وجد فيها عيب شيئ وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته » تث ٢٤ : ١ . لقد وجد الرب عيب بل عيوب خطايا وذنوب ، كم مرة قال أنه رجلها وبعلها (سيدها) اقترن بها وصانها كحدقة العين ، وقال ذكرت لك أيام خطبتك وذهابك ورائى فى البرية ... ولكن كما تخون المرأة رجلها صارت هى فى الخيانة ، فصارت مرفوضة مرذولة مطلقة ... لأنه لا يطيق الإثم ولا يتصالح مع الخطايا والفجور فإن طبيعته القدوسة ضد الشر والنجاسات .

هنا يخاطب الرب بنى إسرائيل قائلاً أين كتاب طلاق أمكم التى طلقتها به ؟

بل مكتوب فى ناموس موسى أن الرجل إذا طلق امرأة وذهبت لرجل آخر لا تصير زوجة لرجلها الأول مرة أخرى ... هذا هو الناموس الذى وضعه الرب . ولكن على

خلاف الناموس يتنازل برحمة عجيبة ويقول للتى تركته وذهبت وراء آخر وانحازت للعالم وأغضبت رجلها الأول . يقول ارجعى إلىّ فيقتنيها ويتخذها لنفسه كما فى البداية، هذه مراحم اللّه العجيبة التى لا حدود لها .

إن محبة العالم عداوة للّه ، محبو العالم يخاطبهم يعقوب الرسول قائلاً « **أيها الزناة والزوانى أما تعلمون أن محبة العالم عداوة للّه فمن أراد أن يكون محبًا للعالم فقد صار عدوًا للّه** » وكما يصير الزوج الثانى غريما للرجل الأول إذ قد استمال قلب زوجته واستأثر بحبها ... كذلك يقول الرب من هو من غرمائى ؟

ولكن ينظر الرب ليفدى محبوبته . النفس الغالية - كنيسته - عروسه ، يغيرها ويفتديها بدمه ويخلصها من يد غرمائه .

وإن كان قد طلقها لأجل الذنوب ولكنه سيردها بعمل الرحمة والإحسان فتعود كما رآها الرائى « **أورشليم نازلة من السماء كعروس مهيأة لرجلها** » هذا هو منتهى القصد الالهى أن تصير أورشليم فى اتحاد زيجى أبدى سماوى... هذا ما صنعه المسيح العريس الحقيقى إذ اقتناها بدمه بذبيحة نفسه .

٢ – لماذا جئت وليس إنسان . ناديت وليس مجيب . هل قصرت يدى عن الفداء وهل ليس فى قدرة للإنقاذ . هوذا بزجرتى أنشف البحر . أجعل الأنهار قفراً . ينتن سمكها من عدم الماء ويموت بالعطش .

٣– ألبس السموات ظلامًا وأجعل المسح غطاءها .

جاء الرب والمخلص ، جاء إلى خاصته طاطأ سماء السموات ونزل ونادى بصوته الحنون كما فى القديم « آدم **أين أنت** » فلا من مجيب ولا من مصغٍ .

مددت يدى طول النهار لشعب معاند . لم يكن قد طلق أمهم ودفع لها كتاب طلاق كمرفوضة ، بل هى تركته ، تركت ينبوع المياه وحفرت لنفسها آبارًا مشققة ، لم يفرط الرب فى شعبه ولا باعهم إلى أيدى مسخريهم بل هم تركوه وذهبوا وراء آخر رغم ما قيل « كثرت أمراضهم الذين ذهبوا وراء آخر » ، فلما زاد زيغانهم جاء بذاته متجسداً .

ولكنهم أيضاً « **خاصته لم تقبله** » ... قالوا كما فى القديم من أقامك علينا ، بل رفضوه حتى الصلب صارخين « **اصلبه اصلبه** » .

مع أنه هو مخلصهم ومخلص جميع الناس ، صاحب

القدرة وكلى القوة . هل نسيت عروسه كيف أخرجها من أرض مصر بذراع شديدة وصنع عجائب بأرض مصر لأجلها ؟ هل نسيت ذراعه التى شقت البحر الأحمر وأجازتها فى وسط البحر ، هل نسيت كيف شق نهر الأردن لعبورها ؟

هذه كلها أن نسيتها فماذا يعمل من أجلها لكى تعرفه ويستعلن لها ؟

لم يعد بعد كل هذه العجائب إلا أن يلبس السموات ظلاماً ومسوحاً يغطيها بها فى يوم استعلان قمة حبه وذبيحة نفسه ... ابهتى واقشعرى أيتها السموات من جحود بنى البشر ومن خيانة العروس قاتلة عريسها .

صاحب القدرة الشديدة للخلاص صار مرفوضاً ، منشف البحر والأنهار برجزه جعلوه يعطش من كثرة ما جحدوه رافضين أن يرووه بحبهم إياه .

٤- أعطانى السيد الرب لسان المتعلمين لأعرف أن أغيث المعيى بكلمة . يوقظ كل صباح . يوقظ لى أذناً لأسمع كالمتعلمين .

٥- السيد الرب فتح لى أذناً وأنا لم أعاند . إلى الوراء لم أرتد .

٦- **بذلت ظهرى للضاربين وخدى للناتفين . وجهى لم أستر عن العار والبصق .**

قال ربنا يسوع المسيح « **تعليمى ليس لى بل للذى أرسلنى** » يو ٧ ... الكلام الذى أتكلم به لست أتكلم به من ذاتى بل الآب الحال فىّ ... هو أعطانى وصية ماذا أقول وماذا أتكلم (**كما أسمع أدين ودينونتى عادلة**) يو ٥ : ٧٠

كل من سمع من الآب وتعلم يقبل إلىّ يو ٦

وأنا ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم يو ٨

« **لست أفعل شيئاً من نفسى بل أتكلم بهذا كما علمنى أبى** » يو ٨ .

فهو شهد بهذا ممجداً الآب الذى أرسله الحال فيه ومعه الذى هو واحد فيه ومعه ، فهو ينسب كل شئ للآب إذ قد أخلى ذاته من كل مجد الإلوهية صائراً فى شبه الناس واضعاً نفسه فى صورة عبد ، الطاعة التى بلا حدود .

هو هو الكلمة الذاتى ، الذى فى ذات اللّه وبدونه لا تقوم الذات الإلهية « **أنا من البدء ما كلمتكم به** » ، ولكنه فى حال الإخلاء يقول أعطانى السيد لساناً وأذناً .

تأمل ماذا كانت تعمل كلمته ... يغيث المعيى بكلمة ... لأنها كلمة إلهية قوية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى

حدين ، تقيم من الأموات وتشدد المفلوجين وتفتح أعين العميان .

أما من ناحية أذن الطاعة ، فمن يستطيع أن يصفها ، ما بلغت طاعة للآب فى كل اجيال الخليقة ولن تبلغ إلى قامة طاعة الابن الوحيد الذى وضع نفسه واطاع حتى الموت موت الصليب وكأنّ أذن الطاعة فى المسيح متجددة فى كل صباح ... بل هى جديدة فى كل صباح كمثل مراحمه .

السيد الرب فتح لى أذنًا وأنا لم أعاند .

كانت الشريعة فى القديم لعبد الطاعة الذى يحب سيده ويحب بيته ويتنازل عن حريته بإرادته الكاملة ، تقول الشريعة أن سيده يقربه إلى اللّه إلى الباب أى يصير العبد قرباناً لله - لأنه يقدم كذبيحة حريته ، ويثقب أذن العبد بمسمار إلى الباب فيصير عبداً إلى الأبد ، هو عهد طاعة أبدية ودم العبد يصير على الخشبة علامة ... انه امر عجيب.

وها الابن الكلمة صار جسداً وأخذ شكل العبد ، وها هو يضع نفسه فى طاعة أبدية عجيبة بكل المقاييس ، مقدماً ذبيحة نفسه كاسحق ، ينطق بكمال الشريعة وينفذها بأبعاد مذهلة للعقل ، لا يريد ان يتجاوز الصليب

بل لأجل هذا أتى ، فله سلطان أن يضعها قائلاً لا أخرج حراً ، أحب سيدى ، أحب خدمته ، هانذا قربانك اليوم يا أبتاه .

السيد الرب فتح لى أذنًا وأنا لم أعاند ، إلى الوراء لم أرتد وصارت علامة دمه على الخشبة علامة أبدية أنه أطاع حتى البذل ، حتى الموت . فإن كان بعصيان الواحد (أدم) جعل الكثيرين خطاة إذ سرت روح العصيان ، هكذا بإطاعة الواحد (ربنا يسوع) جعل الكثيرين أبراراً خلال طاعته وذبيحة طاعته . أن الصليب الذى سمر الرب عليه صار هو باب الغفران ، باب السماء باب بيت اللّه ، الباب الضيق .

+ بذلت ظهرى للضاربين وخدى للناتفين وجهى لم أستر عن العار والبصق هذه هى ملامح الصليب بتفصيل مذهل بقوة رؤيا فاقت كل المقاييس ، إن تفاصيل ألام مخلصنا بكلمات النبوة قبل الصليب بأكثر من ٧٠٠ سنة تخزى الذين لا يؤمنون ، وتثبت يقين المؤمنين أن كل دقائق الألام جرت كالتدبير الإلهى المسبق بحسب مشورة اللّه المحتومة وقصده السابق ، وأنها لم تحدث وفقاً لظروف طارئة أو صدفة فهى أمور تخص الخلاص والثمن الذى دفعه الرب كاملاً على الصليب .

كان فى التدبير الإلهى لأجل الخلاص أن يجلد المسيح!! هذا أمر مذهل .

أنه جزء من الثمن ... بل هو دين على كل إنسان خاطئ ... لأن الجلد فى الناموس كان ضمن العقوبات التى تحتمها الشريعة على بعض التعديات فكان الجلد بالسياط يعتبر عقوبة تأديب ... هكذا قال بيلاطس ايضاً «أنا أؤدبه واطلقه » . وهو بذل ظهره بإرادته الكاملة عوضاً عن الخطاة ، لكى يحمل هو تأديب خطايانا على جسده الطاهر ولأجلنا أحتمل الجلد ونحن بجلدته شفينا من وجع الخطايا . هو تألم يقدر أن يعين المجربين ... بل قالها إشعياء النبى فى ص ٥٣ بجلدته شفينا ، فقد نالت البشرية شفاء بجلدات مخلصنا ... يا للعجب !!

أما خداه فأسلمهما لأجلنا ووجهه لم يرد عن خزى البصاق . قبل إليه الخزى ... خزى الوجوه ، وهو ما كان لنا كخطاة ... اسمع ما قاله دانيال فى صلاته التوسليه إلى اللّه . « يا سيد لنا خزى الوجوه لملوكنا لرؤسائنا ولآبائنا لأننا أخطأنا اليك » دا : ٩ : ٨ هذا حمل عار خطايانا وخزى وجوهنا لكى نصير نحن بر اللّه فيه ولكى نقول أننا ناظرين إلى الرب بوجه مكشوف ، صارت لنا

دالة وحظوة ووسيلة بها نقترب إلى اللّه وندعوه أباً لنا ونقول فى صلاة القسمة لكى بقلب طاهر ووجه غير مخزى نجسر أن ندعو اللّه أباك أباً لنا .

فلنا فى المسيح هذه النعمة لأنه حمل عارنا مستهيناً بالخزى لأجل السرور الموضوع أمامه .

كل من نال هذه النعمة يعرف هذا الثمن الباهظ الذى قدمه الرب ببذل وجهه الطاهر عوض الخطاة ، ويحسبه شرف أى شرف إن نال يوماً ما شيئاً من المهانة والخزى لأجل مخلصه . لقد ذاق كثير من الشهداء هذا النوع من العار ، تفلوا على وجوههم وأذاقوهم الوان المذلة ... لكنهم كان يعظم انتصارهم بالذى أحبهم بل حسبوه كل فرح إذ صاروا شركاء للذى وفّى الدين عنا .

تعرض أحد المؤمنين بسبب إيمانه للمسيح للبصق على وجهه ، فرد وجهه وأداره بعيداً بحركة تلقائية ، فاحس بندم وتبكيت شديد وجاء إلى أبينا بيشوى كامل معترفاً باكياً كيف فعل ذلك بينما مخلصه الصالح لم يرد وجهه عن خزى البصاق .

عدد ٧ –٩

٧– والسيد الرب يعيننى لذلك لا أخجل . لذلك جعلت

وجهــي كالصــوان وعــرفت أنــي لا أخزى .

٨- قريب هو الذى يبررنى من يخاصمنى . لنتواقف . من هو صاحب دعوى معى ليتقدم إلىّ .

٩- هوذا السيد الرب يعيننى . من هو الذى يحكم على . هوذا كلهم كالثوب يبلون يأكلهم العث .

إن مخلصنا وقف عوضاً عن الخطاة يحاكم كفاعل شر وهو القدوس الذى لم يوجد فيه غش ، فقبل كل ما أتى عليه من اتهامات ولم يجب بكلمة لأنه أضمر فى نفسه أن يدفع الثمن كاملاً حتى الموت موت الصليب .

لذلك يقول من يخاصمنى لنتواقف ... من هو صاحب دعوى ليتقدم إلىّ .

من أجل نفسه قال من منكم يبكتنى على خطية ؟!

ومن أجل أحبائه قال دعوا هؤلاء يمضون لكى يسلم نفسه لصالبيه .

فهو يقول لمن له دين تعال نتحاسب ... إن كان لك عليهم شئ أنا أوفى يقول لصاحب الدعوى ... قدم دعواك... وأنا ادفع الديون عنهم حتى الموت ... جعلت وجهى كالصوان ... عالماً أنى لا اخزى ...

فحساب النفقة محسوب عند مخلصنا ... كما هو مكتوب « يسوع وهو عالم بكل ما يأتى عليه » . فإن كان جلد أو هوان ، وإن كان بصاق أو خزى ، وإن كان إكليل شوك أو مسامير ، فهذه كلها قبلها بإرادته إذ له وحده سلطان أن يضعها ... وسلطان أن يأخذها . لذلك قال جعلت وجهى كالصوان ... لم يهتز للطم ، لم يرجف من الهوان !! بل بثبات إلهى عجيب قبل الخزى واستهان بالعار .

ولينتبه القارئ أن الرب بإرادته الكاملة قبل أن يتألم ، فالأفعال كلها أفعال إرادته « بذلت ظهرى – لم أرد وجهى – جعلت وجهى » ... ، فالأنبياء قديماً كانوا يتعرضون للآلام بغير إرداتهم وكان الرب يقودهم كما قال لإرميا لا تخف من وجوههم ... هأنذا جعلتك عمود حديد وأسوار نحاس (إر ١ : ١٨) . أما مخلصنا فهو الذى جعل وجهه كالصوان بإرادته مواجهاً الآلام المعروفة لديه لذلك يقول «عرفت أنى لا أخزى قريب هو الذى يبررنى » .

لقد سُمع له لأجل بره ... إذ حمل الخطايا تألم ومات ولكن لأنه قدوس وبار قام ناقضاً أوجاع الموت إذ لم يكن ممكناً أن يمسك منه . وهو إذ يتكلم عن الآب يقول عنه أنه

قريب ، إذ لم يتركه لحظة ولا طرفة عين . وإن كان وهو يخدم خلاصنا ويعانى أوجاعنا صرخ بلسان البشر « لماذا تركتنى » ولكنه هو والآب واحد ، وعندما ناداه قبل الصليب قائلاً « مجدنى بالمجد الذى لى عندك قبل إنشاء العالم » ، جاء صوت من السماء يقول « مجدت وأمجد أيضاً» فالذى استجابه وهو شفيع البشر بذبيحة نفسه وبرره ببره الأزلى هو قريب منه متحد به واحد فيه .

من هو الذى يحكم علىّ

أما الذين حكموا عليه فمساكين مطروحين فى العمى والجهل ... كلهم كالثوب يبلون يأكلهم العث ... قد قيل عن السماء أنها كثوب يبلى وكرداء يطويها فتتغير أما أنت هو أنت وسنوك لن تبلى ، فإن كانت السماء تبدو هكذا أمامه فكم يكون حال التراب الأرضى المزدرى وغير الموجود.

يليق بنا أن نردد كلمات المزمور « لكى تتبرر فى أقوالك وتغلب متى حوكمت » .

١٠- من منكم خائف الرب سامع لصوت عبده . من الذى يسلك فى الظلمات ولا نور له.فليتكل على اسم الرب ويستند إلى الهه .

١١- يا هؤلاء جميعكم القادحين ناراً المتنطقين بشرار اسلكوا بنور ناركم وبالشرار الذى أوقدتموه . من يدى صار لكم هذا فى الوجع تضطجعون .

بعدما وصف الروح آلام مخلصنا الإرادية الذى بذل ظهره للضاربين وخده للناتفين ، ولم يرد وجهه عن خزى البصاق . يعود الروح فيميز بنى الخلاص الذين يتمتعون ببركات آلام المخلص ويتبررون بها - منادياً إياهم من وسط الجماعة قائلاً « من منكم خائف الرب سامع لصوت عبده » .

هذه هى ملامح الذين قبلوا اليهم عمل الخلاص ... خوف الله والخضوع لكلمة المسيح طوبى للرجل الخائف الرب ويهوى وصاياه جداً ...

فالأنقياء الذين سكن فيهم خوف الله ، انفتحت عيونهم ليعرفوه وانفتحت آذانهم ليسمعوا صوته والذين يسمعون يحيون .

أما الباقون فقد أعمى الشيطان عيونهم وأغلظ قلوبهم فلا خافوا الله ولا سمعوا لصوت ابنه الوحيد بل رفضوا مشورة الله من جهة أنفسهم .

فالذين قبلوه وسمعوا صوته ، إن سلكوا فى وادى

ظل الموت فلا يخافوا لأنه هو نورهم وحياتهم وخلاصهم... اتكلوا عليه واستندوا إليه كما إلى صخر الدهور .

بينما الباقون اشتعلوا شراً غيظاً وحقداً وكراهية للحق ، فالوحى يقول لهم احترقوا بناركم والشرار الذى أوقدتموه يحرقكم ، هم أهاجوا الجمع ضد المسيح ، لقّنوهم صراخ ضد الحق قائلين اصلبه ، فإذ رفضوا الحياة يضطجعون فى الموت .

إذ رذلوا النور يضطجعون فى الظلام ، إذ رفضوا الفرح ينامون فى الحزن ... وباختصار قال لهم الرب من يدى صار لكم هذا فى الوجع تضطجعون .

أرسل اللّه إليهم عمل الضلال لكى يصدقوا الكذب لأنهم رفضوا الحق واظلم ذهنهم فلا نور ولا حياة هذا هو الجحيم بعينه .

لما امتدت لهم يد النعمة قائلاً مددت يدى طول النهار لشعب معاند - لم يقبلوها بل سمروها على الصليب، فجزاؤهم يكون من يد الرب نفسه الحاكم والديان العادل !!



اشعياء ٥١

١ – اسمعوا لى أيها التابعون البر الطالبون الرب . انظروا إلى الصخر الذى منه قُطعتم وإلى نقرة الجب التى منها حفرتم .

٢ – انظروا إلى إبراهيم أبيكم وإلى سارة التى ولدتكم . لأنى دعوته وهو واحد وباركته وأكثرته .

٣– فإن الرب قد عزى صهيون . عزى كل خربها ويجعل بريتها كعدن وباديتها كجنة الرب . الفرح والابتهاج يوجدان فيها . الحمد وصوت الترنم .

هؤلاء المختارون الذين سيحسبون أهلاً للنجاة الذين يقبلون المخلص فيخلصهم ويتبعونه فيعطيهم حياة أبدية ، هؤلاء يخاطبهم الروح قائلاً اسمعوا لى أيها التابعون (التلاميذ) البر (المسيح) الطالبون الرب فى شخص يسوع المسيح المخلص :

وهم أصحاب أذن مختونة تميز صوت الراعى وتميل الأذن والنفس بخضوع لصوت ابن اللّه . متدربة على سماع ذاك الذى وضع نفسه للطاعة حتى الموت . خرافى تسمع صوتى وها الرب يجدد بكلماته العهود القديمة

ويرجع النفوس التى صارت بالإيمان بالمسيح أولاداً لإبراهيم ، يرجعها إلى إيمان إبراهيم ومواعيد إبراهيم ، كيف أكملها الرب حسب أمانته . تأملوا إبراهيم فإنه خرج تابعاً الرب ، لما دُعى أطاع فخرج وهو لا يعلم إلى أين يمضى خرج وهو واحد فصار نسله كرمل البحر ونجوم السماء .

خرج وهو متجرد فصار صاحب أملاك جزيلة .

خرج من أرضه فأعطاه أرض الميراث أرض الموعد .

خرج وسارة عاقر وإذ تبع الرب صار لها نسل .

فكما كان هكذا يكون ، ومن يستوعب أعمال اللّه فى قديسيه يدرك صدق مواعيده ، وكما فعل الرب بإبراهيم فى القديم كظل ومثال هكذا بالأكثر يكون لبنى إيمان إبراهيم الذين يؤمنون بمن أقام يسوع المسيح ربنا من الأموات .

فإن الرب قد عزى صهيون – فى المسيح – بتعزية الروح القدس ، صارت تتكاثر وكانت تُبنى ولها سلام ، هكذا قيل عن كنيسة المسيح صهيون العهد الجديد **عزى كل خربها** ... ، الشيطان يعمل ليخرب والروح القدس يجعل القفر والبرية الخربة كجنة عدن ... إذ تشقها أنهار

الروح خلال الأناجيل والبشارة المفرحة .

صحراء الكنيسة صارت كجنة الرب فردوس للفرح ، إذ صار الإنسان مقبولاً فى المسيح ليحيا مع اللّه فى فردوس نعيم الحياة الروحية ، أى ليحيا مع اللّه إلى الأبد فى الفرح الذى لا ينطق به وصوت الحمد والترنم والتسبيح الذى لا ينقطع .

٤- انصتوا إلىّ يا شعبى ويا أمتى اصغى إلىّ . لأن شريعة من عندى تخرج وحقى أثبته نوراً للشعوب .

٥- قريب برى . قد برز خلاصى وذراعاى يقضيان للشعوب . إياى ترجو الجزائر وتنتظر ذراعىّ .

الحديث هنا عن شريعة جديدة وعهد جديد يخرج من لدن اللّه لا كالعهد الأول الذى عهدته مع أبائكم ، عهد العبودية ، عهد ناموس الحجر ، بل اكتب ناموسى على قلوبهم وهم يصيرون لى بنين وبنات ... فهو إذاً عهد البنوة ، هذا هو العهد الجديد بدمى كقول المسيح له المجد .

وهو هنا ينادى شعبه الجديد الذى اقتناه من جميع الأمم والشعوب والألسنة ليس لشعب اسرائيل ، بل للشعوب . وليس عن شريعة موسى يتكلم بل عن شريعة

الإنجيل التى صارت كإشراق النور يبدد ظلام الأرض كلها.

حقى ... نور ...

صار الإنجيل حق الله نوراً للشعوب ، وهذا ما استعلن منذ ولادة المسيح ، الناموس بموسى أعطى أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا . النور يضئ فى الظلمة ... كان النور الحقيقى آتيًا إلى العالم ... ولما حمله سمعان الشيخ قال « **نوراً تجلى للأمم** » ... الشعب الجالس فى الظلمة أبصر نوراً عظيماً . ألم يقل المسيح له المجد أنا هو نور العالم !!

+ قريب برى ... قد برز خلاصى

ولكن عين النبوة بالروح القدس تختزل الزمن وترى عمل الخلاص واقعاً يكاد يُلمس ، بل أن الأبرار نظروا المواعيد من بعيد وحيوها ... وأقروا أنهم غرباء ونزلاء ، فهم شعروا بالأيام والسنين تأتى عليهم كبشر خاضعين للزمان ولكن رأوا وعود الله وإذ الزمن ينحسر عنها فهى قائمة فى الله حاضرة فيه ، وهى تأتى إتيانا ولاتتباطأ ... لذلك هتف اشعياء قائلاً بصوت الرب « **قريب برى قد برز خلاصى** » .

٦- ارفعوا إلى السموات عيونكم وانظروا إلى الأرض من تحت،فإن السموات كالدخان تضمحل والأرض كالثوب تبلى وسكانها كالبعوض يموتون . أما خلاصى فإلى الأبد يكون وبرى لا ينقض .

السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول قال ربنا يسوع . فالسموات والأرض مادية ، ستنحل عناصرها كقول القديس بطرس الرسول ، أما الخلاص فيختص بالحياة الأبدية التى لا تزول ولا تنتهى .

هذه السموات تحدّث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه ، وهى وإن كانت تبدو للإنسان متناهية الكبر ولا حدود لها من فوقه ، إلا أنها صنع يديه يطويها فتتغير وهى كالدخان تضمحل ، والأرض كالثوب تبلى وسكانها كالبعوض يموتون ، ماذا تحسب هذه الأشياء لدى الأزلى الأبدى أليست يداه صنعت هذه جميعاً ؟

من هو الإنسان الترابى ، ما هى الخليقة كلها ؟ عدم فى عدم .

أما أن يخص الله الإنسان المخلوق على صورته ومثاله بهذا القدر العجيب من الحب والعناية ، ويقول لذّاتى مع بنى آدم ، ويسعى لخلاص الإنسان ويجدد خلقته ويفديه

بذبيحة ابنه ... فهذا أمر مذهل من يستطيع أن يدركه ؟ فإن كانت السموات تزول فخلاص اللّه وبره الذى ادخره لنا فى شخص ابنه يسوع المسيح لا يزول .

هذا رجاء المسيحين ، وهذا هو عمق الحب الأزلى نحونا فلنمجد اسمه ونزيده علواً من أجل رحمته وعطاياه التى لا يعبّر عنها .

٧- اسمعوا لى يا عارفى البر الشعب الذى شريعتى فى قلبه . لا تخافوا من تعيير الناس ومن شتائمهم لا ترتاعوا.

٨- لأنه كالثوب يأكلهم العُث وكالصوف يأكلهم السوس أما برى فإلى الأبد يكون وخلاصى إلى دور الأدوار .

يخاطب الرب تلاميذه فى العهد الجديد ، الذين عرفوا البر وصارت شريعته فى قلبهم بحسب النبوات عن عهد المسيا ، فإن الرب يقول اكتب ناموسى فى أذهانهم وفى قلوبهم لأنه ينزع قلب الحجر ويعطيهم قلباً لحمياً (راجع نبوات حزقيال النبى) .

يخاطبهم قائلاً لا تخافوا من تعيير الناس ومن شتائمهم .

أليس هذا هو كلام ربنا يسوع نصاً وروحاً ... لقد أنبأ تلاميذه وكنيسته إلى كل الأجيال قائلاً طوبى لكم إذا طردوكم وعيروكم وقالوا فيكم كل كلمة شريرة من أجلى كاذبين افرحوا فى ذلك اليوم وتهللوا .

فالنبوات هنا تقول إن تابعيه المتبررين مجاناً بنعمته الذين صارت كلمته وشريعته فى قلوبهم ، يكونون مضطهدين مشتومين معيّرين ، وهذا أمر عجيب حقاً ! تأمل قول الرب يسوع :

إن كانوا اضطهدونى فسيضطهدونكم .

+ تكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمى .

+ إن كانوا قد فعلوا هكذا بالعود الرطب فكم بالحرى باليابس .

+ تأتى ساعة يظن فيها كل من يقتلكم أنه يؤدى خدمة لله .

+ بعد هذا كله يلقون أيديهم عليكم ويضطهدونكم .

+باركوا لاعنيكم ... صلوا لأجل الذى يسيئون اليكم .

أليست هذه كلها ما تنبأ عنها الروح بفم اشعياء ، بل يزيد مطمئنا أولاد الله قائلاً لا تخافوا من شتائم الناس ولا

ترتاعوا من تعييرهم وهذا أيضاً ما قاله الرب لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ... ، أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر ، متى قدموكم ... فلا تهتموا ، أما خوفهم فلا تخافوه ...

ولكن لماذا عدم الخوف ؟

أولاً – لأنه قال أنا معكم ، أنا هو لا تخافوا ، فإن سرت فى وادى ظل الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معى ...

ثانيًا – لأن الذين معنا أكثر من الذين علينا ، كلهم كالثوب يبلون يأكلهم العث والسوس ، فالعالم مغلوب والشيطان انسحق بالصليب ، وأعوان الشيطان هكذا يُعبّر عنهم الوحى ... كلا شئ ، كالعصافة ، كثوب بالى أكله العث ، فلماذا الخوف ؟ وممن نخاف ؟

وبينما يصف المضطهدين بهذا ، يعود فيقول أما برى فإلى الأبد يكون وخلاصى إلى دور فدور .

ويكفى أن نذكر مثلاً آخر عن هيردوس الذى اضطهد الكنيسة فى أيامها الأولى وقتل يعقوب الرسول بالسيف والقى بطرس فى السجن ، كيف انتهى ؟ ضربه ملاك الرب فدوّد ومات أما كلمة الرب فكانت تنمو وتزيد .

فهم إلى فناء وإلى زوال أما خلاص اللّه فأبدى أزلى يبقى إلى جيل الأجيال .

٩- استيقظى استيقظى البسى قوة يا ذراع الرب . استيقظى كما فى أيام القدم كما فى الأدوار القديمة . ألست أنت القاطعة رهب الطاعنة التنين !

١٠- ألست أنت هى المنشفة البحر مياه الغمر العظيم الجاعلة أعماق البحر طريقاً لعبور المفديين .

عندما عبر نبو اسرائيل البحر الأحمر فى يوم ظل الخلاص العتيد وجازوا والماء لهم كمثل سور عن يمينهم وعن يسارهم . حينئذ سبح موسى وجماعة بنى اسرائيل للرب وقال تعالوا نسبح الرب لأنه بالمجد قد تمجد ، وادركوا أن هذه ذراع الرب ، وقالوا « **من مثلك يارب ... يمينك معتزة بالقوة يمينك حطمت العدو** .... » فى ذلك اليوم خلص الرب شعبه بذراع رفيعه ويد معتزة بالقوة...

وإذ يفتقد اشعياء هذا العمل الخلاصى ويتطلع بالروح إلى ما هو عتيد أن يكون فى المخلص وذراعيه المبسوطتين على الصليب ، صانعا الخلاص ومخلص شعبه من خطاياهم ، وفادى ليس أجساد عبيده بل نفوسهم وأرواحهم ، ليس من عبودية فرعون بل من عبودية إبليس،

وقد شق ليس البحر الأحمر بل بحر الجحيم والموت ... إذ يتطلع الى كل هذا بعين النبوة يصرخ ويقول **استيقظى استيقظى البسى قوة يا ذراع الرب .**

حقاً قد قام الرب مثل النائم وكالثمل من الخمر كقول المزمور .

هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد ، لقد استعلنت قوة ذراع الرب فى القديم فى فك شعبه من أسر وعبودية فرعون وبذراعه ضرب المضرين ، وبدم الفصح عبر عنهم الهلاك ... .

ذراع الرب قطعت رهب أى مصر التى دعاها الكتاب رهب الجلوس ، رمزاً لسخرة الطين والجلوس إلى قدور اللحم رمز الشهوات ... كل هذه قطعتها ذراع الرب مخلص عبيده من طين الجسد وعبودية الشهوات ، وشق البحر وعمّد شعبه بموسى رمز المسيح ، وعوض عصى موسى المادية صارت خشبة الصليب الطاعنة التنين الذى هو الحية القديمة إبليس .

١١- ومفديو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بالترنم وعلى رؤوسهم فرح أبدى . ابتهاج وفرح يدركانهم. يهرب الحزن والتنهد .

١٢- أنا أنا هو معزيكم . منِ أنتِ حتى تخافى من إنسان يموت ومن ابن الإنسان الذى يُجعل كالعشب .

١٣- وتنسى الرب صانعك باسط السموات ومؤسس الأرض ، وتفزع دائمًا كل يوم من غضب المضايق عندما هيأ للإهلاك . وأين غضب المضايق ؟

١٤- سريعًا يطلق المنحنى ولا يموت فى الجب ولا يعدم خبزه .

مفديو الرب يرجعون

يرجعون إلى الرب بعد أن تغربوا عنه وساروا وراء آلهه غريبة .

يرجعون إلى الرب كرجوع المرأة التى وصفها ارميا النبى حينما أعيت نفسها من الرجال الغرباء فأدركت مقدار الخسارة التى لحقتها عندما تركت عريس نفسها وإذ تدركها المراحم وإحساسات الندم والتوبة تقول حينئذ أرجع إلى رجلى الأول .

يرجعون إلى الرب كرجوع الابن الضال الذى يقول أقوم وأرجع إلى أبى ... كم من أجير عند أبى يفضل عنه الخبز وأنا هنا أهلك جوعاً .

يرجعون إلى الرب كرجوع المسبيين من أرض سبيهم

بعد سنين المذلة والغربة والإهانة بين الأمم الذين سبوهم، « أردد يارب سبينا مثل السيول فى الجنوب » ، « إذا ما رد الرب سبى صهيون صرنا مثل المتعزين ، حينئذ امتلأ فمنا فرحاً ولساننا تهليلاً » . يرجعون كل واحد عن طريقه الردية بالتوبة كما فعل أهل نينوى ... فرحمهم اللّه وغفر لهم خطاياهم ورفع غضبه عنهم .

ويأتون إلى صهيون

أورشليم الجديدة . النازلة من فوق ، المزينة والمهيأة كعروس لرجلها ، لها مجد اللّه . المفديون فقط لهم نصيبهم فيها ، يأتون إليها ويدخلون ويسكنون فيها إلى أبد الأبد من كل الشعوب والألسنة ، لهم ثياب بيض بيضوها فى دم المسيح ، ولهم قيثارات التسبيح ولهم سعف نخل الانتصار على العدو .

وهم يأتون إليها مدعوون بحسب قصد الذى فداهم ، اسماؤهم مكتوبة فيها فى سفر الحياة هم يأتون لأن فاديهم دعاهم قائلاً **تعالوا إلىّ يا مباركى أبى رثوا الملك المعد لكم من قبل كون العالم ...**

يأتون بالترنم وعلى رؤوسهم فرح أبدى . ابتهاج وفرح يدركانهم ، يهرب الحزن والتنهد . فردوس المسيح هو

فردوس الفرح ، الموضع الذى هرب منه الحزن كما نقول فى أوشية الراقدين وكما يقول الرب للمختارين ، **« أدخل إلى فرح سيدك »** ... هرب الحزن ، كهروب الظلام من النور ، يمسح الرب كل دمعة من عيونهم ، لا مكان للدموع أو لوجع القلب لأنه هو يقتادهم إلى ينابيع الفرح الأبدى ، ويشرق عليهم فلا توجد الظلمة فى ما بعد . يأتون بفرح وترنم ... ليس فرح من هذا العالم ... هو فرح أبدى مصدره هو وجودهم الدائم فى معية اللّه والحياة به وفيه...

لكل واحد منهم قيثارة

لهم كل واحد قيثارات كما رآهم الرائى ، يترنمون ترنيمة كأنها جديدة ... لا يعرفها إلا الذى يقولها ويتعلمها من اللّه ، هى فى جذورها ترنيمة الخلاص ، ترنيمة موسى عبد الرب ، ولكن بلغة وكلمات وألحان سماوية لا توصف بلغة البشر ، لأنهم يكونون كملائكة الله فى السماء ، ومن يستطيع أن يصف تسبيح الشاروبيم ؟ الذى عندما سمعه اشعياء النبى صرخ قائلاً ويل لى لأنى هلكت لأنى إنسان نجس الشفتين !!

وإذ يعلن الوحى مجد السماويات وميراث المفديين ،

يعود يعزى الكنيسة فى غربتها ويقول أنا أنا معزيكم ، هو فى وسطها فلن تتزعزع . هو قال لهم سلامى أترك لكم **سلامى أنا أعطيكم ليس كما يعطى العالم ، لا تضطرب قلوبكم ، أنا هو لا تخافوا ، أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر** ... ، وجوده فى وسط كنيسة يقين لا يدانيه شك ، كراعٍ قائم فى وسط قطيعه بذراعه يجمع الحملان ، فى حضنه يضمها ويقود المرضعات ... ما أكثر سلامها وما أجزل طمأنينتها !

والسؤال الذى طرحه الرب بعد ذلك ، من أنت حتى تخافى من إنسان يموت ؟

إن كان ربك وسيدك وراعيك هو الذى لا يموت !!

كل آلة صورت ضدك لا تنجح وكل لسان يقوم عليك فى القضاء تحكمين عليه ، من أنتِ ؟ أدركى وأعرفى ذاتك؟

أنتِ عروس الإله ، أنتِ أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه ، أنتِ جسد وهو رأس الجسد ، أنتِ التى اشتراها واقتناها لا بفضة ولا بذهب بل بدم ذبيحة نفسه دفع الثمن... ما اغلاك وما أقواك !

إذن من أنتِ حتى تخافى من إنسان يموت ؟

هكذا عاشت الكنيسة هذه الوعود المطمئنة وعبرت بها

كل أجيال الظلم وارتفعت فوق مستوى الخوف من الناس... **لا تخافوا من الذين يقتلون جسدكم .**

ولكن الوحى يرجع سبب الخوف إلى النسيان .

وتنسى الرب صانعك باسط السماوات ، وتفزعى دائماً كل يوم من غضب المضايق . الخوف آفة قاتلة تصيب الإيمان وتحطم الروح .

أن تنظر الكنيسة أو النفس إلى التجارب ، وترتبك بالضيقات التى تحيط بها وتفزع من المضايق الذى يضايقها... وتنسى أن ترفع بصرها إلى مخلصها ... فى هذه الحالة تنال منها الشدائد ويبلغ المجرب منها قصده .

ولكن لا بد للكنيسة أن تركز بصرها على فاديها ، أنتم الذين رسم أمام عيونكم يسوع المسيح وإياه مصلوباً ، تتذكر كل يوم قوته وجبروته وتسترجع دائماً قصص الخلاص التى تتجدد ، وذراع الرب القدير صانعها وراعيها وفاديها ... تثق فى شخصه فى وجوده وفى مواعيده وتتشبث بها ولا ترخيها ، لا تعمل حساباً للضيق أو المضايق ولا تلتفت إلى هنا وهناك ، يكفيها درس القديس بطرس الرسول الذى بإيمانه فى المخلص ونظره إليه سار

على الماء ولكن إذ انشغل بالأمواج والخوف بدأ يغرق .

تنظر إلى السماوات فتجدها تحدث بمجده وإلى الأرض التى أسسها فتمجده ، تراه فى الأعالى ناظراً إلى المتواضعين ... هو أمامها شاغل بالها أن نظرت إلى فوق أو إلى أسفل وها هو يقول لها وأين غضب المضايق ؟

لقد سحق ، وأهان ، وكسر شوكته وحطم قوته . على جبل التجربة خزاه ، وقال له آمراً اذهب عنى . كم أخرج الشياطين فخزوا وكانوا يصرخون بصياح الخزى منكسرين ! بل أعطى الكنيسة هذا السلطان « اخرجوا شياطين » ، وشهد الرسل قائلين حتى الشياطين تخضع لنا باسمك . هل تذكر كيف طرد الذين كانوا يشتكون على المرأة الخاطئة، وقال لها أين هم الذين يشتكون عليك.

فإن كان فعل هذا مع التى أمسكت فى ذات الفعل ، فكم بالحرى مع كنيسته ؟

أنه يقول لها كل يوم أين غضب المضايق ؟

سريعاً يطلق المنحنى ولا يموت فى الجب ، لقد فدى الرب شعبه وفك أسر سباياه فلم يعد للخطية ولا جب الموت سلطان حتى إذا سقط أحد . فلا تشمتى بى يا عدوتى أنا أن سقطت أقوم ... أقوم سريعاً ولا أعدم خبزى.

الذى هـو جسدى ، ربـى الذى يفدى مـن الحفـرة حـياتى ويطـعمـنى خـبـز الحيـاة الأبديـة لأتقـوى حتـى بعـد مـوتى يحـينى ويطـعمنـى ، كما أقـام ابنة يـايروس وأمر أن تـعطى لتأكل ... فليشـكروه ويمجدوه كصـالح ومحب البشـر .

١٥- وأنا الـرب إلهك مـزعج البـحـر فـتـعج لججـه . رب الجنود اسمه .

١٦- وقـد جعـلت أقـوالى فى فمك وبـظل يدى سـتـرتك لـغرس الـسـموات وتـأسيس الأرض ولـتقول لصهيون أنت شعبى .

من هـو الذى لـه سلـطان لغـرس الـسمـوات وتـأسـيس الأرض ؟

الروح هـنا يتكلم عن سمـاء جديدة وأرض جديدة يسكن فيهـا البر ، وهـذه قد تنبـأ عنها « **هانذا خـالق سـماءً جديدة وأرضًا جـديدة** » ... فـهى اذن خـليـقـة جـديدة لا تمـت إلى السماء والأرض المادية الترابية التى تلوثت بالخطايا .

وهـذا السـلطان هـو سلطان المسيح الخالق ، الذى عرفنا الآب وهـو الكائـن فى حضنه خـبرنا عنه ، والآب كلـمنا فى ابنه ، لذلك يقـول له جعلت أقوالى فى فـمك ، وهـو فى حال الإخلاء قال لا أتـكلم من نفسـى ، بـل الآب الحال فىّ ، وهـو

فى حال الإخلاء أيضاً إذ أخذ شكل العبد يخاطبه قائلاً **أنا الرب إلهك** ، والمسيح له المجد قال بعد قيامته **أنا صاعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم** ، . فلو كانت الأبوة يتساوى فيها التلاميذ (البشر) مع المسيح لكان يقول صاعد إلى أبينا ، ولكنه بوضوح يقول أبى (بالطبيعة) وأبوكم (بالتبنى) ، فإن كان المسيح يدعوه أبى لكنه يقول **أنا والآب واحد ، من رآنى فقد رأى الآب ... أنا فى ، الآب والآب فىّ**، فهو الابن الوحيد الجنس ، بنوّته للآب جوهرية ذاتية بلا افتراق ولا انفصال ، أما نحن كبشر فقد صرنا أبناء بالمسيح وفيه إذ أخذ جسدنا وصرنا أعضاء جسده ، أعطانا نعمة البنوة وإذ أنعم علينا صرنا ندعو اللّه الآب أباً لنا ، وهو أيضاً إذ أخذ شكل العبد فصار يقول إلهى ووضع نفسه للطاعة كعبد... حتى الموت ... ، ولكنه أيضاً فى حال الإخلاء فإن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ... فهو لم يزل إلهاً ، أتى وصار ابن بشر ولكنه الإله الحقيقى أتى وخلصنا ، هذا الذى غرس السموات الجديدة وأسس الأرض الجديدة ... وكنيسته وشعبه وملكوته الذى على الأرض ممتداً إلى السماء حيث يستعلن إلى أبد الأبد رحمته وقدرته السرمدية كمخلص ومحب البشر .

ولتقول لصهيون أنت شعبى

فهو إذ أسس السموات والأرض الجديدة يُسكن فيها شعبه المختار المخلوق جديداً حسب صورة خالقه (المسيح)، وهو ينادى صهيون الجديدة قائلاً أنت شعبى وهم يقولون فى المقابل أنت إلهى .

١٧- انهضى انهضى قومى يا أورشليم التى شربت من يد الرب كأس غضبه ، ثقل كأس الترنح شربت مَصَصتِ .

١٨- ليس لها من يقودها من جميع البنين الذين ولدتهم وليس من يمسك بيدها من جميع البنين الذين ربتهم .

١٩- اثنان هما ملاقياك . من يرثى لك . الخراب والانسحاق والجوع والسيف . بمن أعزيك .

٢٠- بنوك قد أعيوا اضطجعوا فى رأس كل زقاق كالوعل فى شبكة. الملآنون من غضب الرب من زجرة إلهك.

كان النبى يستصرخ الرب ويستنهض قوته مترجياً خلاصه فناداه قائلاً **استيقظى استيقظى البسى قوة ذراع الرب** ، وإذا ذراع الرب المنشفة البحر الأحمر والمحطمة قوة فرعون تتجسد لعمل الخلاص الحقيقى بفداء

المختارين وسحق فرعون العقلى ، وإذ يكسر الرب العدو بقوة صليبه وموته المحيى ينادى ببشارة الخلاص وقيامة الذين فى سبى الموت ، وهنا ينادى المخلص أورشليم المسبية قائلاً **انهضى انهضى قومى يا أورشليم .**

قومى مع الرب القائم ، بل قومى فيه .

وعوض أن تشربى كأس الغضب وكأس الترنح ... ستشربى كأس الرى كأس الابتهاج ، وعوض أن يقال أنه ليس من جميع بنيكِ من يحسك ويقيمك من التراب .

وإذ يصف الروح حال أورشليم وهى مسببةٍ ، كيف صارت فى الخراب والحزن والانسحاق يقول بمن أعزيك ؟ فالرب قد أضمر فى قلبه أن يعزيها قائلاً عزوا عزوا شعبى طيبوا قلب أورشليم ... وإذ انطرح كل بنيها وصاروا كالوعل الذى أخذ فى شبكة الخطايا ، وهم جميعهم أغلق عليهم ، جاء مخلصنا يفك المأسورين ويقيم الساقطين ويقول أنا هو معزيكم ، وأرسل إلى كنيسته القائمة معه الروح المعزى يمكث فيها إلى الأبد .

لقد شربت أورشليم من كأس الغضب الإلهى حين كانت معاقبة من جزاء الخطايا ، حقاً أن أجرة الخطية هى موت فصارت فى مذلة الأسر ، وانسحاق النفس من

الأهوال ، أسوارها هدمت وأبوابها أحرقت بالنار ، هيلكها صار هدماً هزءاً للغرباء ، شبابها ماتوا بالسيف وعذاراها ذبلن وصرن فى خزى خراب وانسحاق وكسر على كسر...

فإن كان هكذا صار العقاب المادى الزمنى ، فكم يكون رعب العقاب الأبدى وفعل الخطية الداخلى فى النفس والجسد معاً ... ماذا يكون سوى الموت الأبدى الذى لا يوصف ... ولكن هل يوجد عزاء أو رجاء ؟

هل يوجد للأموات بالذنوب والخطايا أمل فى نجاة ، هل ينادى سكان القبور ليروا النور ؟ نعم فى المسيح المخلص فى ذراع الرب التى لم تقصر عن الخلاص يوجد كل الرجاء وكل العزاء ، فقط انصت إلى هذه المناداه بأذنىْ قلبك فقد أتت الساعة التى قالها المسيح « **تاتى ساعة وهى الآن حين يسمع كل من فى القبور صوته – والسامعون يحيون** » ، قالها لأورشليم المتهالكة والمنهوكة القوى المنطرحة فى الخطايا والعائشة فى سبى المذلة ... ناداها بفمه بذاته قائلاً انهضى انهضى قومى يا أورشليم لقد اخذ من يدها كأس الغضب والعقاب ، لقد شربها هو واحتملها ... كأس الموت الكأس التى أعطانيها الآب ،

واصطبغ بالصبغة الدموية برضاه ... وحول لها العقوبة خلاصاً ، بدّل كأس الغضب بكأس دم الحياة وأعطاها لتشرب فتحيا .

ثم بعد أن ناداها أقامها ممسكاً بيدها إذ ليس لها من يمسك بيدها من جميع بنيها ، تماماً كما فعل بإبنة يايروس نادها قائلاً ياصبية قومى وأمسك بيدها وأقامها ، هذا نموذج القيامة بالكلمة والفعل معاً ، كمثل ما تصور أيقونة القيامة ربنا يسوع المسيح إذ نزل إلى الجحيم وأقام أبينا آدم وأصعده ممسكاً إيّاه بيده مع أمنا حواء باليد الأخرى ... إذ ليس لهم من يمسك بيدهم هكذا من جميع بنيهم ، إذ ليس بأحدٍ غيره الخلاص .

٢١- لذلك اسمعى هذا أيتها البائسة والسكرى وليس بالخمر .

٢٢- هكذا قال سيدك الرب وإلهك الذى يحاكم لشعبه. هأنذا قد أخذت من يدك كأس الترنح ثُفل كأس غضبى . لا تعودين تشربينها فى ما بعد .

٢٣- وأضعها فى يد معذبيك الذين قالوا لنفسك انحنى لنعبر فوضعتِ كالأرض ظهرك وكالزقاق للعابرين .

يوجد كأس خمر للترنح ، وهو كأس الغضب ، فالمتلهون بالخطايا والمذات الجسدية يكونون سكارى

غائبين عن الوعى والصحو ، يفاجئهم الهلاك بغته وهم لا يدرون .

وتوجد كأس خمر الحب الإلهى والانشغال بالسماويات ، يغيب فيها الإنسان عن الوعى الجسدانى ليرى ما لا يرى ويتهلل بفرح لا ينطق به ومجيد .

أما أورشليم فكانت تشرب من الكأس الأولى ، كأس خمر الخطايا ، التى تحولت لها كأس غضب إلهى ، كمثل ما رأى القديس يوحنا كأس الغضب التى أعطيت لبابل أم الزوانى إذ كانت قد أسلمت نفسها للشر ، أنها ديست كطين الأزقة ، وألقاها العدو إلى التراب فجعلت كالأرض ظهرها ، أى انبطحت للدوس عليها ، أنها بالحقيقة صورة محزنة ، ولكن هل تنتظر من عدو الخير غير ذلك ؟

أما عن نعمة الخلاص فيقول الرب ، أنه يأخذ من يدها كأس الترنح ويدفعها ليد ظالميها ، أمين هو الله ، إن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً ، هذه هى غيرة الخلاص حين داس الموت بالموت . ورد شر الشيطان على رأسه ، والمخرب والمهلك أهلكه وأباده وسيبيده بنفخة فمه كما يقول الرسول بولس .



اشعياء ٥٢

١ – **استيقظى استيقظى البسى عِزّك يا صهيون البسى ثياب جمالك يا أورشليم المدينة المقدسة لأنه لا يعود يدخلك فى ما بعد أغلف ولا نجس .**

يعود الروح فيكرر نداء القيامة مجدداً بالبشرى قوة الحياة الأبدية قائلاً **استيقظى استيقظى** ، يناديها كالنائم ، أليست هذه لغة المسيح المخلص « **لعازر حبيبنا قد نام لكنى أذهب لأوقظه** » يو ١١ : ١١

وعندما أقام ابنة يايروس قال **لم تمت الصبية لكنها نائمة !! ثم أيقظها ماسكًا بيدها قائلاً يا صبية قومى !!**

هذه لغة المسيح التى لم يفهمها التلاميذ آنذاك ، لكنهم فهموها وعاشوها فيما بعد عندما قام هو من الأموات وكمل كلام النبوات والمزامير « **استيقظ الرب مثل النائم** » . وهو إذ عبر بالموت ونفضه كمن استيقظ من النوم ، هكذا أيضاً المؤمنون به إذ كانوا أمواتاً بالخطايا .

اللّه الذى هو غنىٌ فى الرحمة من أجل محبته الكثيرة ونحن أمواتاً بالخطايا أحياناً فى المسيح ، لذلك يقول استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضئ لك المسيح .

هنا اليقظة تكون جدة الحياة ، حياة الأبد ، حياة المسيح، بالمسيح وفى المسيح . حياة الخطايا حياة غفلة كغفلة النوم أو كغفلة الموت .

التوبة والرجوع إلى اللّه هى قيامة من النوم بل قيامة من الموت .

وحين تستيقظ أورشليم ، وتصحو من غفلة الموت ، ماذا يا ترى يكون شكلها ؟ لقد قامت بالمسيح ، لابسة المسيح « **أنتم الذين اعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح** » . فثياب مجدنا ، ثياب النور ، الثياب البيض ، هى المسيح ذاته ، وما بالها مبيضة هكذا ؟ قد غسلت وبيضت بدمه مراراً وتكراراً وقد دعاها الروح هنا « **ثياب جمالك** » ...
كما دعاها حزقيال بسطت ذيلى عليك ، أنها ثايبه هو ، ثوب مغموس فى الدم ، والجمال والبهاء هما للمسيح ، أما نحن فلنا خزى الوجوه ، من أين للتراب جمال أو بهاء ؟

استيقظى البسى ثياب جمالك ، صورة خالقك ، كخليقة جديدة ، تشابه الذى هو أبرع جمالاً من بنى البشر ، لقد صار لنا المسيح ثياب الجمال ، وحلّة العرس معاً .

الجمال كائن فى النقاوة والطهارة « **لا يعود يدخلك فى**

ما بعد أغلف ولا نجس ، الأغلف والنجس يشوهان جمال أورشليم !!

النجاسة تحطم الصورة التى خلقت على مثال الله فى البر والقداسة والحق . فإن كانت أورشليم تحفظ نفسها قائمة متسربلة بثوب جمالها فلا بد لها أن تعزل الأغلف والنجس فلا يعود يدخلها فيما بعد .

الأغلف هو غير المختون ، والختان هو المعمودية ، ختان القلب بالروح ، الختان الجديد غير المصنوع بيد بخلع جسم خطايانا البشرية بختان المسيح .

والنجس هو غير المقدس ، غير الطاهر ، والنجاسة هى الخطية ، لقد صير المسيح كنيسته مقدسة « بغسل الماء بالكلمة وأحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شئ مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب » أف ٥ : ٢٦ ،٢٧ .

٢ - انتفضى من التراب قومى اجلسى يا أورشليم انحلى من ربط عنقك أيتها المسبيّة ابنة صهيون .

لقد لصق بها التراب زماناً ، بل لصقت بالتراب نفسها ، منذ صار الحكم على آدم من جزاء الخطية : أنت تراب وإلى التراب تعود ، صار مائلاً إلى التراب ساعياً

وراءه ، راجعاً إليه لا محالة ، وما قيامة المسيح إلا الانتفاض من التراب ، إذ أعادنا الرب إلى فردوس الفرح مرة أخرى وأقامنا معه وأصعدنا معه إلى السموات، فصارت سيرتنا هى فى السماويات ، بعد أزمنة هذا عددها التصقت سيرتنا بالتراب ... وما هو التراب إلا الجسد ؟

قومى انتفضى من تراب الجسد والشهوات !!

قومى انتفضى من التراب الذى اتسخت به نفسك ، انفضى هذا الغبار ، عودى إلى النقاوة . ولكن عجبى على هذا القول ، انتفضى ؟ أبهذه السهولة كمن ينفض تراب هكذا يكون الخلاص بالمسيح ؟ لقد دفع الثمن وليس علينا سوى أن نكون فيه وفقط ننتفض فننال ، والانتفاض حركة إرادية ، نستنهض الإرادة المنهكة والقوى التى شلها الموت بالكذب والوهم الكاذب .

قدرة الخلاص صارت لنا وقوة قيامة المسيح صارت فينا، فما بالنا مازلنا فى التراب ، وما بالنا ملتصقين به كموتى القبور ... قومى ... استيقظى ، انتفضى يا نفسى، اطيعى صوت الروح صوت المبشر بالخير .

قومى اجلسى

اجلسى عن يمين الآب . فهذا هو مركزك فى المسيح .

اجلسى على كرسى مجد ، بعد أن كنت منطرحة إلى التراب فهو يقيم البائس من المزبلة لكى يجلس مع رؤساء شعبه ، اجلسى اتكئى فى حضنه .

اجلسى على كرسى كما جلست الملكة عن يمين الملك ببهائه الذى كان عليها ، قال الرب للرسل تجلسون على اثنى عشر كرسياً وتدينون اسباط اسرائيل الأثنى عشر .

اجلسى لكى تدينى العالم !!

قال الرب « انزلى اجلسى على التراب أيتها العذراء ابنة بابل اجلسى على الأرض بلا كرسى » ، حقاً أنزل الأعزاء عن الكراسى ورفع المتواضعين كقول القديسة مريم .

انحلى من ربط عنقك أيتها المسبية ابنة صهيون

طالما تعذبت من رباط عنق العبودية ، وحين كانت مربوطة بها كانت بلا حرية . تقاد حيث لا تشاء مسبية ومذلولة ... هذا أصدق وصف لحياة الخطية والخضوع لروح الظلمة ... **من يفعل الخطية هو عبد للخطية هكذا** قال ربنا يسوع المسيح . ولكن يقول الروح للذليلة المضطربة انحلى !! هل هذا فى مقدورها ... هو يفكها كما

قال للرسل لما أقام لعازر الميت حلوه ... هذا سلطان رسل المسيح فى كنيسته أن يحلوا من رباطات الموت والظلم وينعموا على النفوس بحرية مجد أولاد اللّه بالمسيح فى الروح القدس لأن حيث روح الرب هناك حرية .

وبعد السبى والعبودية صار لنا بالمسيح حريّة ، البنين ان حرركم الابن فبالحقيقة تصيرون أحراراً .

٣- فإنه هكذا قال الرب مجانًا بُعتم وبلا فضة تُفكّون .

هذه الحرية والحل من الرباطات هى نعمة ، والنعمة مجانية ، اشتريتم لا بفضة ولا بذهب من سيرتكم الباطلة بل بدم كريم كما من حمِل بلا عيب دم المسيح . قد كنا مباعين تحت الخطايا ، واقعين تحت الغواية ، وقد سبى الشيطان نفسونا مجاناً ، لم نكسب شيئاً ولم نحصل على شئ حتى حرية الإرداة فقدناها ، فلما اشترانا المسيح بدمه وأعطانا نعمته ورد سبينا ، دفع الثمن كاملاً واشترانا فصرنا له .

٤ - لأنه هكذا قال السيد الرب . إلى مصر نزل شعبى أولاً ليتغرب هناك . ثم ظلمه أشور بلا سبب .

٥ - فالآن ماذا لى هنا يقول الرب حتى أُخذ شعبى

مجاناً ؟. المتسلطون عليه يصيحون يقول الرب ودائماً كل يوم اسمي يهان .

٦- لذلك يعرف شعبي اسمي . لذلك في ذلك اليوم يعرفون أني أنا هو المتكلم . هأنذا .

هل ينسى الرب عبودية شعبه في مصر وهي رمز العبودية للشيطان فرعون العقلي ، والتغرب عن اللّه ومذلة شعبه في أعمال الطين والسخرة ومرارة النفس ؟

حاشا فإلهنا خلقنا وهو يحمل همنا وأوجاعنا ويريد خلاصنا ... بل يقول سمعت أنينهم ونزلت لأخلصهم ... ويسرع ويلتفت إلى معونتنا .

ولما ظلم أشور شعب اللّه ، ولما سبى ملك بابل واخرب وأهلك أورشليم ، فهل تعبر هذه الأمور بسهولة ، هل يرى أولاده في ضيق الأسر والسبي ويسكت ولا يسمع صراخهم ؟

لا . بل في كل ضيقتهم تضايق ، وآلامهم صارت محسوسة عنده ، وقد رأى وسمع وكتب سفر تذكرة ، وفي وقت الخلاص يمينه تصنع قوة وتحطم العدو .

والسؤال المذهل الفائق للعقل قول الرب والآن ماذا لي هنا حتى أُخذ شعبي مجاناً . لقد اعتدى العدو على شعبه ،

وأهان ميراثه ، وشوّه صورة خلقته المخلوقة على مثاله ، فكيف يجوز هذا ، هل يُغلب الخالق ؟ هل تصير صورته إلى الفساد وهو يرى ولا يتحرك لخلاص شعبه ؟ هل قصرت يده عن الخلاص ؟ حاشا أن يكون ذلك . بل ينتقم الرب نقمة ، ينهض قوته ويخلص شعبه بيد قوته وذراع رفيعة وكما الرمز كذلك يكون الحق ، مثل ما خلّص من ارض مصر وخلّص من أشور ، كذلك صنع الخلاص العجيب بقوة صليبه المحيي وقيامته المقدسة حين كسر الموت وخلص الموتى .

المتسلطون عليه يصيحون .

+اما تجبر العاتى وكبرياء الشيطان فهو صياح التجبر، كما كان مسخرُو الشعب فى القديم ، وفى هذا الصياح كان التجديف على إله العبرانيين ، كما فعل أيضاً جليات فى تعييره لصفوف اللّه الحى . ولكن فى قصص الخلاص ، أظهر الرب اسمه ، يهوه ، أنا هو أنا كائن ، كما اظهره لموسى فى البرية – اسم الخلاص – كل من يدعو باسم الرب يخلص .

وهذا الاسم صار مخفياً لفرعون – ولعبيده – وهذا الاسم هو قوة الخلاص والحياة .

لذلك يعرف شعبى اسمى

لقد تلازمت قوة الخلاص مع استعلان اسم المخلص ، القوة والاسم معاً وهذا منذ القديم فى كل أعمال الخلاص، فلما ظهر اللّه فى العليقة لموسى قائلاً رأيت عياناً مذلة شعبى ... نزلت لأخلصهم .

قال له موسى ما اسمك ؟ فقال اهيه الذى اهيه (**أى أنا الكائن**) ... ولما رجع موسى إلى الشعب أعلمهم إن اللّه ظهر له وأرسله وعرفهم اسمه قائلاً اهيه أرسلنى اليكم ، وهكذا فى جميع قصص الخلاص ورموزه ، حتى صنع المسيح الفداء الحقيقى . واستعلن اسم يسوع المخلص ، إذ ليس اسم آخر تحت السماء أعطى بين الناس به نستطيع أن نخلص إلا اسم يسوع . وهو أيضاً قال للآب عرفتهم اسمك وسأعرفهم . وهكذا صار لنا بالمسيح فداء ابدياً ، وقوة الخلاص الكائن فى اسمه هذا الذى صنع به الرسل الآيات وشفوا الأمراض باسم يسوع المسيح الناصرى وباسمه أخرجوا الشياطين وطلبوا كل طلبة باسمه فاستجاب لهم .

هكذا تنبأ اشعياء عن تكميل الخلاص واستعلان الاسم المبارك قائلاً . **لذلك يعرف شعبى اسمى** . لذلك فى ذلك اليوم يعرفون أنى أنا هو المتكلم ، هأنذا . وكلمة « **أنا هو** »

أنا هو الكائن « **أنا من البدء ما أكلمكم به** » ... كم قالها المسيح وكررها وأظهر ذاته ومجد لاهوته .

٧- ما أجمل على الجبال قدمى المبشر المخبر بالسلام . المبشر بالخير المخبر بالخلاص القائل لصهيون قد ملك إلهك .

لقد كرر الوحى هنا كلمة البشارة والخبر مرتين ، ومعروف إن البشارة المفرحة والخبر السار هو الإنجيل ، بشرى الخلاص الأبدى وغفران الخطايا وخبر القيامة من الأموات وغلبة الموت ، وهنا ينادى اشعياء بالروح مادحاً أقدام المبشرين والكارزين ، ولكن لماذا أقدامهم ؟ لقد غسلها المسيح الإله وطهرها بيديه بغسل الماء والكلمة ، هى أقدام مخلوقة جديداً ، فإن سارت تبشر فهى محفوفة بالجلال والجمال ، من يقبلها تدخل إليه ، تقول قول المسيح « **السلام لأهل هذا البيت** » فإن وجد ابن السلام قابل السلام محب السلام ، يدخل سلامكم إليه كدخول سلام المسيح إلى الرسل الأطهار . وإن لم يوجد من يستحق السلام يرجع سلامكم اليكم - قال المسيح ، **ولكن انفضوا الغبار ، وقولوا حتى الغبار الذى لصق بأرجلنا من مدينتكم نتركه لكم شهادة عليكم ، فتظل**

اقدامهم مغسولة كما هى ، طاهرة كمثل ما طهرها المسيح ، لا يلتصق بها غبار الأشرار ولا طين الجسدانيين ولا اتساخ الوحل الذى فى العالم ، تظل على الجبال تبشر تنادى وتصعد الخطاة وهى لا تهبط ، قدمى المبشر بالسلام المبشر بالخير الأبدى والخلاص بدم المسيح الفادى ؟

ما أجمل قدمى مارمرقس حينما جاء إلى أرضنا ! كفقير انقطع سير جذائه فى أول جولة بشوارع الاسكندرية فوطأت قدمه العارية وهى مغسولة بيد المسيح ودم المسيح ، فطهرت أرض الأسكندرية توطئه لتدشينها للرب بدم الكاروز يوم جرّوه فى شوارعها لكى يهيئ فيها طريقاً فى القلوب لملكوت المسيح .

ما أجمل قدمى المبشر بالسلام ، يشدد الركب المخلّعة والأيادى المسترخية ، يقيم الساقطين ويحل المربوطين ويكرز بسنة مقبولة للرب وبيوم الخلاص لإلهنا !

ما أجمل أقدام الذين لم يسمع لهم صوت ، حين بلغ كلامهم إلى اقطار المسكونة فصار الإنجيل ينادى به فى كل العالم !

+القائل لصهيون قد ملك إلهك

هذه هى بشرى الخلاص ... الرب قد ملك ... ملك على خشبة ، ملك بالصليب ، ولد كملك **« أين هو المولود ملك اليهود »** من نسل داود بحسب الجسد ، وكبشارة الملاك يعطيه الرب الإله كرسى داود ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ، ولا يكون لملكه انقضاء . ومارس سلطان ملكوته على الخليقة والطبيعة وحتى الأمراض والموت ، حتى كانوا مزمعين أن يختطفوه ويجعلوه ملكاً ولكنه جاز فى وسطهم ومضى لأن مملكته ليست كما ظنوا وافتكروا من ناحية الملك الزمنى الأرضى ... بل أنهم لكثرة ما رأوا وعاينوا ظنوا أن ملكوت اللّه عتيد أن يظهر فى الحال ... وهو ملك الملوك ورب الأرباب . سأله بيلاطس أنت ملك ؟ فقال أنت تقول ، ولكن لكى لا يفهم خطأ أنه ملك أرضى ، بادر بالقول مملكتى ليست من هذا العالم ، وكتب عنوان فوق صليبه يسوع الناصرى ملك اليهود .

هو بالحقيقة كما تنبأ عنه دانيال « ملكوته ما لا يزول... » وحين كرز الرسل... كرزوا قائلين قد اقترب منكم ملكوت اللّه ، واستعلنوا ملكوت المسيح بالقوة والعجائب وسلطان الروح القدس ، فآمن جميع المعينين

للحياة الأبدية ودخلوا ملكوت المسيح ، بل صار ملكوت الله داخلهم .

٨- صوت مراقبيك . يرفعون صوتهم يترنمون معًا لأنهم يبصرون عينًا لعين عند رجوع الرب إلى صهيون .

٩- أشيدى ترنمى معًا يا خرب أورشليم لأن الرب قد عزى شعبه فدى أورشليم .

١٠- قد شمر الرب عن ذراع قدسه أمام عيون كل الأمم فترى كل أطراف الأرض خلاص إلهنا .

يبصرون عياناً رجوع الرب إلى صهيون .. هو اذن الذى رجع إليها ، أفتقدنا مشرقاً من العلاء ليضيئ للجالسين فى الظلمة وظلال الموت ، هو الذى سعى إلينا ، أتى إلى مذلتنا ، اتحد بطبيعتنا .

ويكون رجوع الرب إلى صهيون - بحسب هذه النبوة - مرئياً بالعيان ... ياللعجب العجاب غير المرئى صار مرئياً وغير الزمنى صار تحت الزمان لأجلنا !

صوت مراقبيك ، المراقبون الذين ينظرون من بعيد ... ينتظرون الخلاص ، فإنهم بترنم وحمد وشكر شهدوا : **قد رأينا اليوم عجائب ، ما سمعنا أحداً يتكلم مثل هذا قط ...**

قد افتقد الله شعبه ... ما هذا أنه حتى الرياح والبحر تطيعانه » .

كل هذا نقرؤه فى الأنجيل كيف كان الناظرون الآيات والسامعون لكلام الحياة يتعجبون منه بالمجد . أما الرسل الأطهار- شهود الحمل - فقد سجلوا خدمتهم الفريدة عند رجوع الرب إلى صهيون فادياً ومرئياً بالعيان ومحسوساً بحواس الجسد ... شهدوا قائلين **« الذى رأيناه بعيوننا - الذى شاهدناه ولمسته أيدينا نخبركم به » .**

وهؤلاء المراقبون واولئك الرسل القديسون ... عندما ابصروا عياناً المسيح الإله المخلص ، فإنهم يرفعون أصواتهم يترنمون معاً ... تسبحة الخلاص . وأبدع منظر يترجم هذه الآيات ، هو موكب يوم أحد الشعانين حينما انفجر التسبيح من الأطفال والرسل والجموع على كل ما رأوه من أيات ، وصرخوا صراخ الخلاص اوصنا فى الأعالى فارتجت المدينة كلها .

أشيدى ترنمًا معًا يا خرب أورشليم .

اكثر الفرح يأتى بعد منتهى الحزن ، فالنفوس التى أتى عليها نير دمار الخطايا ودمرها العدو المخرب ، مثل ما ترك اماكن السكنى خراباً فى القديم ... نفوس أكثر

الخطأة تعتقاً فى الشر ، هذه قد افتقدها المسيح بنعمة الخلاص لتعود إلى صورة الجمال الأولى . لا لسكنى البشر بل لسكنى روح الله القدوس الذى يحول القفار إلى جنة رياً ، وأرض الخراب إلى عمار تدب فيه الحياة والفرح، لذلك يأتى التسبيح دائماً نتيجه للتمتع بالخلاص وافتقاد نعمة المسيح .

قد شمر الرب عن ذراع قدسه .

هذا تعبير عن التجسد ، فالحياة التى كانت عند الآب ، مخفية فيه ، أظهرت ، والكلمة صار جسداً ورأينا مجده ... ولكن الروح يقول أن الرب شمر عن ذراع قدسه ، فظهر المسيح متجسداً ليس لليهود فقط بل أمام عيون الأمم فترى أطراف الأرض خلاص الهنا .

ليس لشعب أو لأمه أو للسان ، بل هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد . وتعبير شمر عن الذراع هو استعاره لما يعمله الانسان إذا همّ على عمل يستدعى القوة والجبروت ويتطلب نهضة للإنقاذ والخلاص .

ويمين الرب ، أى اقتداره الإلهى ، يمين الرب رفعتنى ، يمين الرب صنعت قوة ... كما شهدها موسى وشعبه فى يوم الخلاص القديم ، يمينك يارب معتزة بالقوة يمينك

يارب حطمت العدو ، أو كما ناداها اشعياء ايضاً قائلاً **استيقظى استيقظى البسى قوة يا ذراع الرب الست أنت** منشف البحر (أى البحر الأحمر) ، الست أنت الطاعن التنين (أى الشيطان) ٩ ص٥١

١١- اعتزلوا اعتزلوا اخرجوا من هناك لا تمسوا نجساً . اخرجوا من وسطها . تطهروا يا حاملى آنية الرب.

١٢- لأنكم لا تخرجون بالعجلة ولا تذهبون هاربين . لأن الرب سائر أمامكم وإله إسرائيل يجمع ساقتكم .

إن ثمرة الخلاص هى القداسة ، لقد شمر الرب عن ذراع قدسه ومد يده فأقام البائس من المزبلة وأجلسه مع رؤساء شعبه (مع القديسين) . هذا هو عمل المسيح فى الفداء وتخليص الخطاة من ورطة النجاسة .

والكلام عن القداسة يتجه نحو مفهوم الاعتزال أى الفرز ، فالتقديس يعنى التخصيص ، أى أن يتخصص الشئ أو الشخص لعمل يتكرس له ولا يكون له عمل سواه ، فهو ينقطع عن حالته الماضية ليبدأ عمله الجديد ، ويفرز من بين أقرانه ، ليصير وحده ليكمل ما أفرزوه من أجله . مثال ذلك حينما تخصص أوانى المذبح لتكريسها لحمل جسد المسيح ودمه ، هذا التكريس يحمل معنى أن

نعزلها عن باقى الأوانى الفضية ونخصصها لهذه الكرامة، فلا تعود تستعمل فى شيئ آخر سوى حمل الأسرار ، فهى والحال هذه كأنها لم تعد تشارك نظيرتها من الأوانى فى شيئ وإن كان الجميع من معدن واحد ، لكن هذه أفرزت لعمل مقدس . تخصصت له .

وعلى هذا القياس يكون تقديس النفس ، والنداء الإلهى بالروح يقول اعتزلوا اعتزلوا اخرجوا من وسطها ، لا تمسوا نجساً ، اليس هذا هو كلام الرب يسوع ... انا اخترتكم ... أنتم لستم من هذا العالم ... لو كنتم من العالم لكان العالم يحبكم ، لا تحبوا العالم ...لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين ، امتنعوا عن كل شبه شر ، واليست هذه هى الدعوة الأولى للحياة مع الله ، اترك أهلك وعشيرتك ، من أراد أن يأتى ورائى فليترك أباه وأمه.

تطهروا يا حاملى آنية الرب .

التطهير فى العهد القديم كان يخص الجسد بالدرجة الأولى ، من غسلات وتطهيرات . وحتى الذبائح الدموية لم يكن لها قدرة سوى على التطهير الخارجى كقول الرسول، أما التطهير الداخلى فلا يكون سوى بدم ليس من هذه الخليقة ، بل بدم إلهى ، يطهر الضمير ويغسل

النفس ويقدس إلى التمام الذين يتقربون به إلى الله .

كان اللاويون فى القديم هم الذين يحملون آنية الرب وأقداسه ولم يكن أحد غيرهم يمسها ، كما حدث لعزه أحد جبابرة داود حينما مس تابوت عهد الرب عندما انشمصت البقرات التى كانت تجر العجلة حاملة التابوت ، كيف اقتحمه الرب ووقع صريعاً ، وقد أبرزت هذه الحادثة مدى الهوة السحيقة التى كانت تفصل بين نجاسة الانسان وقداسة الله ، وهل يقترب القش من النار ولا يحترق ؟!

أما فى عهد النعمة فقد صار للانسان بالمسيح ثقة ودخول إلى الأقداس ، بل صار الانسان إناءاً مقدساً نافعاً لسكنى المسيح والروح .

فإن كان الذين فُرزوا لخدمة أوانى الرب فى أيام الظلال والرموز ، كان الناموس يوجب عليهم تطهيرات وتقديسات هذا عددها ، فالذين فرزوا من العالم واعتزلوه فكم يكون تطهيرهم وتقديسهم إلا نقاوة القلب وتقديس الروح وتصديق الحق ؟!

١٢- لأنكم لا تخرجون بالعجلة ولا تذهبون هاربين .

إن قصص الخلاص فى العهد القديم ، كان يشوبها الخوف والهروب بعجلة كما فى أيام مصر ، أما كمال

الخلاص ، بالمسيح يسوع ، ففيه سحق الشيطان وصار ذليلاً ضعيفاً والمفديون بالمسيح صار لهم سلطان « وهم **غلبوه بدم الخروف** » ، وأعطوا سلطاناً أن يدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ، والرب نفسه أخبر تلاميذه جهاراً « **رأيت الشيطان ساقطًا من السماء مثل البرق** » ، والتلاميذ شهدوا قائلين « **حتى الشياطين تخضع لنا باسمك** » .

فلماذا الهروب والخوف ؟ وممن يكون ورئيس هذا العالم طرح خارجاً !؟

بل على العكس السلام الروحانى والطمانية هما سمات الخلاص المسيحى ، القلب الثابت المتكل على الله ، والايمان غير المتزعزع بالصليب قوة الله للخلاص .

والثقة والرجاء بالرب ، قد هرب الحزن والتنهد ، وطرد الخوف وابتلع الموت إلى غلبة .

فإن كان المخلصون من فرعون فى الخروج من أرض مصر ، أكلوا بالعجلة وفروا هاربين بالليل ، يساورهم الخوف لعدم الإيمان ، فعلى العكس تماماً فإن المفديين بدم المسيح يسيرون فى وادى ظل الموت لا يخافون شراً لأن فاديهم يقتادهم إلى ينابيع الخلاص ، ويمسح كل دمعة

من عيونهم لن يجوعوا بعد ولن يعطشوا بعد ولا يقع عليهم شيئ من الحر ، هو يسقيهم ماء الحياة مجاناً ويطعمهم ذاته كخبز حياة أبدية وهو فى وسطها فلن تتزعزع .

لأن الرب سائر أمامكم وإله اسرائيل يجمع ساقتكم .

الساقة هى مؤخرة الجيش .

فهو سائر أمام قطيعه كراع صالح ، وهو سائر خلفه يجمع الحملان ويقود المرضعات فلا يستطيع العدو أن يقترب لا من أمام ، ولا من خلف ، ما اجمل كلمات مخلصنا لا تخف أيها القطيع الصغير فإن أباكم سر أن يعطيكم الملكوت !



اشعياء ٥٣

يعتبر الاصحاح ٥٣ من نبوات اشعياء النبى كنزاً مخفياً فى حقل العهد القديم لما حواه من دقائق وتفاصيل آلام مخلصنا وسر هذه الآلام المجانية المخلصة . ويندهل العقل وهو يقترب إلى الكلمات العميقة وكيف صاغها الروح ونطق بها بفم اشعياء قبل الصليب بما يقرب من سبعمائة سنه .

ولكى ينعم الانسان بما هو مذخر لنا فى هذا الاصحاح العجيب ، لا بد أن يقربه بروح الصلاة والاتضاع . فالأمور التى تحوى قصد الله نحو الخلاص الذى كان فى التدبير الالهى قبل الأزلية ، إذا ما كشفها الرب لأحد قديسيه ، فإنه يقترب اليها كمثل اقتراب موسى الكليم من العليقة المشتعلة بالنار الالهية وهى لا تحترق ، فكما أوجب الرب على موسى أن يخلع نعليه إذا أراد الاقتراب والدخول إلى دائرة المنظر الالهى ، هكذا يليق بنا أن نطرح عنا اهتماماتنا العالمية . وننقى القلب من الأدناس والعيوب كمن يخلع نعل رجليه ، ونتلمس طريقنا نحو دائرة الصليب بقلب منكسر وعاطفة متشببة بحب من احبنا حتى الموت وبذل نفسه هكذا من أجلنا .

لذلك نحن نتوسل إلى الروح القدس أن يجعلنا مستحقين ومستأهلين أن نقترب ونحسب مع الساجدين الحقيقيين إكراماً للجراحات الشافية والآلام المخلصة وموت المسيح المحى كل احد .

١٣ – هوذا عبدى يعقل ويتعالى ويتسامى جداً .

حسبت هذه الآيات تكملة للاصحاح ٥٢ وهى الاعداد ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ويبدأ الاصحاح ٥٣ بقوله من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب .

هنا يقدم الآب ابنه المتجسد للعالم ، حيث أنه أخذ شكل العبد ، صائراً فى شبه الناس إذ أخلى ذاته ، ووضع نفسه ، ولكن رفعه الله وأعطاه اسماً فوق كل اسم ، وهو يقول عنه انه يتعالى ويتسامى جداً ، أليس هو القائل **من يضع نفسه يرتفع** ، فهو إذ كان قد نزل درج الإخلاء من علو سمائه إلى منتهى اتضاع طبيعتنا وجبلتنا الترابية ، فولد فى مذود كمسكين وتقمط بأقمطة كأفقر مولود ونما قليلاً قليلاً بشبه البشر ، ولكنه كان ينمو فى النعمة والقامة عند الله والناس بقدر ما اتضع وأطاع ، فإن كانت طاعته بلغت حتى الموت ، أى صارت طاعة بلا حدود فقد صار ارتفاعه وتعاليه وسموّه أيضاً بلا حدود .

يعقل : هو عقل الله الناطق ، أو هو نطق الله العاقل ، روحه القدوس ، هو روح الحكمة منه تنبع كل حكمة روحية وأحكامه ما أبعدها عن أحكام الناس .

ويتعالى ويتسامى : ... فى كل شيئ ، كما علت السماء عن الأرض هكذا علت أفكاره عن افكار الناس وطرقه عن طرقهم ، كيف نظر إلى السامرية ؟ كيف خلص ابنة الكنعانية ، كيف لم يحكم على الزانية التى امسكت فى ذات الفعل ؟ كيف كانت نظرته إلى المولود أعمى ؟ وكيف كان حنوه على الأطفال والضعفاء والخطاة ؟ فى كل هذه وغيرها شيئ لا يعد ولا يحصى ارتفع وتعالى وتسامى عن أحكام الناس وكلام الناس وتقييم الناس ، وطرق الناس .

أما من جهة كلمته القادرة وسلطانه الإلهى ، فما اعلاه وما أرهبه ! فهو يتكلم بسلطان وليس كالكتبة وهو يامر البحر والهواء فتطيعه ، وهو ينتهر الحمى فتذهب ويأمر الشياطين فتخرج صارخة ، أين الناس من كل هذا فهو المتعالى بسلطانه وقدرته وكلمته التى هى **أمضى من كل سيف ذى حدين .**

١٤- كما اندهش منك كثيرون ، كان منظره كذا مُفسداً أكثر من الرجل وصورته أكثر من بنى آدم .

أما أن كثيرين قد اندهشوا من الآيات والعجائب ومن شخصه المحيى ، فهذا قد امتلأت به كلمات البشارة المفرحة فى الأناجيل ، عندما سمعه الشيوخ وهو ابن اثنتى عشرة سنة بالجسد تعجبوا من فهمه ومن أجوبته ، ومن بعد ذلك تسمع هذه العبارات ، **فتعجب الجموع ، فبهتت الجموع ، فاعترى الجميع خوف ومجدوا الله** ، ... انذهل السمائيون من فرط اتضاعه ، وفزعت الشياطين لما واجهت حضوره وصرخت وقالت **ما لنا ولك يا يسوع الناصرى** ، وأما تلاميذه والمحيطون به فلما رأوا من الآيات ما يعقد اللسان عن النطق كانوا يقولون **من هو هذا ؟ حتى أن الريح والبحر يطيعانه** ، أنه هو المتعجب منه بالمجد !

كان منظره كذا مفسداً اكثر من الرجل وصورته أكثر من بنى آدم .

منظره ، منظر الاتضاع ، لبس الاتضاع كثوب وأخلى ذاته ، أما جوهره فمن يقدر أن يتطلع إليه أو يتأمله ، هوذا الملائكة يسترون وجوههم من بهاء عظمة مجده غير المنظور .

صار ابناً للانسان ، فصار ليس له أين يسند رأسه ، ولما جاء إلى صليبه صار مرذولاً مهاناً من الناس ، وحمل الخطايا صار عليه فماذا كان منظره ؟!!

كان منظره مُفسداً وهو على الصليب ، ولكنه فى جوهره لم ير فساداً كقول داود فى المزمور .

لما حمل الخطايا ، صار خطية لأجلنا ، فلم يحمل خطايا انسان واحد أو ١٠٠ انسان بل حمل خطايا العالم كله ، وشيئ مهول من يقدر أن يصفه بكلمات ، ومن هذا الذى يستطيع أن يحمل كل هذا أو يوفى ديناً كهذا ؟ أليست أجرة الخطية هى موت ، الموت هو أجرة خطية واحدة ، بانسان واحد كان الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس عندما فسدت طبيعة آدم بالخطية ، صار يقال عنه أنه مفسداً ... أى يحمل فساده فيه ، فلما حمل المسيح الخطايا صار منظره مفسداً فقط أما طبيعته فهى القيامة بعينها ، وفيه يقوم الجميع ، بخطية آدم مات الجميع ، وببر المسيح يقوم الجميع ، فيه كانت الحياة .

فمن جهة حمله للخطايا لم يوجد فى كل الجنس البشرى منظراً كهذا ، أى لم يوجد من بنى آدم من صارت عليه كل هذه الخطايا ، فإن كانت خطية واحدة كفيلة أن

تشوه الصورة الجميلة التى خلقها الله على مثاله ، فكم يكون الحال مع ذاك الذى وضع الرب عليه إثم جميعنا ؟ .

تأمل كيف صار منظر المسيح الذى هو أبرع جمالاً من بنى البشر إلى هذه الحالة التى تصفها كلمات النبوة !! إن كل هذا احتمله الرب من اجلنا فأى شكر نقدمه إلى الله بالمسيح !!

١٥- هكذا ينضح أممًا كثيرين . من أجله يسد ملوك أفواههم لأنهم قد أبصروا ما لم يخبروا به وما لم يسمعوه فهموه .

على الصليب سال الدم الإلهى ، ورش دم الذبيحة . الزكى على المنجسين ، وهذا الدم بروحه الأزلى يغسل الأعماق ، ويقدس النفس مع الجسد وينقى النية والضمير وكل ما خفى فى الانسان ، وفيه الكفاية أن يكون كفارة وستراً لخطايا العالم كله .

كانت الذبائح الدموية يؤخذ من دمها للتطهير ، ويرش على المنجسين بالخطايا وكان يؤخذ من الدم للتقديس . كتقديس خيمة الاجتماع وتقديس الكهنة واللاويين وكل شئ يتطهر بالدم ، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة ، وهذه كلها كانت شبه السماويات وظلها كقول الرسول .

والكلمة هى التي وردت فى المزمور الخمسين « تنضح علىّ بزوفاك فأطهر » .

هنا دم المسيح يُنضح على أمم كثيرة ، بلا عدد ، لا تقع تحت حصر ولا عدد بل تتخطى قوة التطهير هذه الزمان والمكان وترتفع فوق الجنس واللون ... انه يُطهّر امماً وشعوب واجناس والسنة وقبائل ، يكفى ان تتامل اثر الصليب وعمل الدم كما ورد فى سفر الرؤيا ، حينما رأهم جمعاً كثيراً لم يستطع احد ان يعده من كل الشعوب والأمم والقبائل والألسنة ، وهم لابسون الثياب البيض التى غسلوها وبيضوها فى دم المسيح .

وبعد فهل يُحد فعل دم المسيح بحدود ؟ حاشا ، إنه معنا على المذبح كل يوم فداءً وخلاصاً ونعمة وغفراناً للخطايا وحياة ابدية لكل من يتناول منه .

من لجله يسد ملوك افواههم لأنهم قد ابصروا ما لم يخبروا به .

أملم الصليب ، وعجب المصلوب ، يستد كل فم ، وتعقد الدهشة السنة الملوك ، هل من الحيرة ؟

ام من هول المفاجأة ؟

ام من السر الأزلى ؟

ماذا أبصروا فى المسيح ؟

لقد وصلتهم الأخبار عنه ، كانت قد ملأت الدنيا بأسرها .

مسيح الاتضاع . لا يصيح ولا يخاصم ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته .

مسيح المساكين بالروح والحزانى ومنكسرى القلوب .

ثم مسيح إقامة الموتى وإخراج الشياطين وشفاء الأعمى والأبرص .

ثم مسيح السلطان على الطبيعة حتى أن البحر والريح تطيعانه .

مسيح البركة والخبزات الخمس مشبع الآلاف فى القفر .

كانت أخباره قد سبقته إلى قصر هيرودس وبيلاطس لقد سمعوا كل هذا ، فلما صار أمامهم مقبوضاً عليه صامتاً لا يجيب بشئ ... تحيروا وأية حيرة ، لقد ملك عليهم الدهش .

وصار الملوك يقولون الا تجيب بشئ ؟

أأنت ملك ؟ وكانوا يترجون أن يروا آية ؟

ولكن لقد ثبت وجهه نحو صليبه وضمر أن يتألم ، فمن يستطيع أن يثنيه لقد رأى الملوك ما لم يخبروا به .

من جهة أخرى كانت الشكاية من رؤساء كهنة اليهود وكتبتهم والصراخ دمه علينا وعلى أولادنا ، فى حين أن بيلاطس شهد أنه لم يرَ فيه علة للموت بل رآه غير مستوجب الموت ، طالبوه قائلين اصلبه أما هو فقد جاءه تحذير يقول إياك وذلك البار لاننى تألمت كثيراً فى حلم .

فهم رأوا فيه الحمل الذى بلا عيب كمثل شاة تساق إلى الذبح بصمت عجيب حتى فى موته تعجبوا ... قال قائد المئه بالحقيقة كان هذا ابن الله ، وأما بيلاطس فملأته الدهشة وتعجب انه مات هكذا سريعاً ... ربما لأنه كان يعتقد أنه لن يموت ..

ثمة أمر آخر جدير بالتأمل . ترى ماذا كان يجول بخاطر الملائكة (الملوك) والقوات السمائية وهم يرون القدوس الجالس على الشاروبيم والمسجود له من جميع القوات السمائية ... إنه بتعبير البشر يسدون أفواههم من أجله ، من أجل أنه وضع للموت نفسه وأطاع حتى الصليب وقبل العار والشتم حتى إلى المنتهى . هم يسترون وجوههم من بهاء عظمة مجده غير المنظور ولا منطوق به ، فماذا يكون الحال حين يروا رب الخليقة يتحمل الآلام وخزى الخطايا ، حتى الموت موت الصليب ؟ لقد رأوا ما لم يخبروا به ... شئ فائق للعقل .

١ - من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب .

هنا تأتى النبوات إلى دقائق الصليب وتبدأ بهذا السؤال بفم النبى القائل يارب من صدق خبرنا .

الخبر هو الانجيل ، كلمة انجيل تعنى الأخبار السارة - الإيمان بالخبر كقول الرسول . فكرازة الرسل هى الخبر الذى تتكلم عنه النبوة ، والسؤال هو من صدق ؟ كثيرون يدعون وقليليون ينتخبون - أمن جميع الذين كانوا معينين للحياة الأبدية - ليس الجميع أطاعوا الإيمان - الإيمان ليس للجميع ، ... وهكذا .

وقد انقسم العالم من بداية الكرازة بين مصدق تابع مستجيب بإيمان ، وبين غير مصدق غير مؤمن بل مقاوم ومعاند .

فعندما كرز بولس الرسول فى أريوس باغوس ... قالوا سنسمع منك عن هذا ايضاً ؟!!

وعندما كرز شاهداً أمام فيلكس الوالى ، قال له أنت تهذى ... الكتب الكثيرة تحولك للهذيان ...

ولكن ليس الأمر هكذا سهلاً .. . تأمل مقابلة المسيح

مع نيقوديموس ... ماذا قال له الرب ، « إن قلت لكم الأرضيات ولستم تؤمنون فكيف تؤمنون إن قلت لكم السماويات » .

بل تأمل كيف كان خبر قيامة المسيح من الأموات ... حتى التلاميذ فى البداية لم يصدقوا الذين نظروه ... بل كانوا غير مصدقين من الفرح ، أنه أمر عالٍ فائق على الطبيعة ... يفوق إمكانيات الانسان لأنها أمور الله التى لا يستطيع أن يفحصها إلا روح الله .

فلمن استعلنت ذراع الرب ؟

استعلنت للبسطاء فى حين أخفيت عن الحكماء والفهماء .

استعلنت للأطفال الصغار .

استعلنت للمساكين بالروح والحزانى والودعاء .

استعلنت للأعمى الذى فتح الرب عينه فسجد له ، بينما الذين قالوا أنهم مبصرون لم يستعلن لهم بل صار لهم عيون ولا يبصرون .

استعلنت لمريم العابدة ومرثا المجاهدة فقالت أؤمن يا

سيد وسجدت له قبل أن يقيم اخاها وقبل ان يصنع المعجزة .

استعلنت للتلاميذ فى عرس قانا الجليل حين أظهر مجده فآمن به تلاميذه ، فى حين أن المعجزة لم تحرك احداً نحو الإيمان ... اللهم إلا كلمات قليلة من رئيس المتكأ . مجرد كلمات ...

لذلك يقول الروح ... لمن استعلنت ذراع الرب ؟

لقد أخلى ذاته وأخذ شكل العبد ، فمن يستطيع أن يستجلى حقيقته أو يستكشف ذاته وسلطانه إلا الذين أعطى لهم ...

٢ – نبت قدامه كفرخ وكعرق من أرض يابسة .

الأرض اليابسة ، أى ارض لم يروها انسان ، لم يفلحها احد قط .

هذه التى نبت منها بدون زرع بشر ، هى العذراء دائمة البتولية القديسة مريم . هذه معجزة التجسد الفائقة الإدراك ... اتخذ له جسداً وجعله واحداً مع لاهوته ودعى ابن الانسان ، مولوداً من امرأة ، ولكن لا ينتسب إلى الناس ، إن بشارة الملاك غاية فى الوضوح « المولود منك

قدوس ، ويدعى ابن الله ، **الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك** » .

فهو نبت كفرخ فرع صغير ، من أصل الشجرة ، أصل البشرية بل أصل وذرية داود ، كذلك دعى ناصرياً (أى غصناً) بل صار كل تابعيه نصارى ، أى أغصان فى الكرمة الحقيقية كقول الرب نفسه .

وهو نبت وكان ينمو ويتقوى فى النعمة والقامة عند الله ، لذلك قيل نبت قدامه ، أى قدام الآب أبوه وهو نبت من أرض لم يمسها بشر ، وبعد أن ولدته بقيت عذراء .

+ لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه .

كيف صار الذى هو أبرع جمالاً من بنى البشر ، كيف صار لا صورة له ولا جمال ؟ لقد حمل قبح خطايانا ، قال المزمور بلسانه ، **غطى الخزى وجهى (تفلوا عليه) صرت غريبًا من اخوتى ونزيلاً عند بنى أمى ...**

لقد خلق الانسان على صورته ما أروعها صورة ! فلما تشوهت بالخطية عاد الخالق يخلق صورته من جديد ، فلبس ثوب الجسد وهو أزال فساده وأعاد رونقه ... ما

أجمل البشرية فى المسيح إنها استعادت سلطانها الأول ومجدها العتيد !

صار هو بلا صورة ولا جمال لنكون نحن على صورته من جديد ، صار هو حامل خطايا لنصير نحن بر الله فيه.

صار بلا جمال ليرجع المزدرى ويقيم المسكين من التراب ويرفع البائس من المزبلة ... لقد أخذ موضعنا وحمل آلامنا فى جسده ونحن فيه .

قال اشعياء النبى إلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس . بنفسى اشتهيتك فى الليل . إش ٢٦

فكيف صار إلى هذا الحال لا منظر له فنشتهيه ؟ كم احتمل من أجلنا ؟

٣- محتقر ومخذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن .

قال الانجيلى مار لوقا وهو يصف آلام مخلصنا :

« فاحتقره هيرودس مع عسكره واستهزأوا به وألبسه لباساً لامعاً » .

ابتهجى أيتها السموات وكل الساكنين فيها ، المجد من الشاروبيم والجالس على تسبيحات الكروبيم المخوف

والمرهوب من كل الخلائق السماوية ، صار محتقراً من أجلنا ، قبل هذه الآلام بصمت رهيب وسكون كسكون الازل ! لم يقترب إليه الاضطراب .

ما أقسى على النفس الكريمة أن تحتقر ، وتزدرى بها الناس ، الخطية هى التعالى والكبرياء ، هى الصانع لهذا العمل المشين .

كان هيرودس - ومن على شاكلته - الغارق فى الزنا وعبد الشهوات مملوءاً كيداً ، يغطى بمظهر العظمة الكاذبة خزيه الدفين ، وبمكره وحيله كسب المواقف ، وظن بسلوكه هذا أنه ملك الدنيا ، فلما وقف أمامه المسيح المقبوض عليه والمرسل إليه ليفحصه .

صارت المفارقة صارخة ، تطن لها آذان الملائكة .

ملك الرذيلة يفحص ويحاكم إله الفضيلة .

العائش فى المجون والخلاعة ، احتقر القدوس منبع الطهارة ، وهكذا المنغمسون فى العالم يحتقرون الفضائل ، ويدوسون القيم العالية ويستهزاون بالقداسة والقدسين .

صار هذا المنظر تعزية للقدسين إلى جيل الأجيال ، إن هم صاروا محتقرين فقد شابهوا سيدهم وربهم فيبلغ بهم

هذا إلى قمة العزاء - فخرجوا فرحين لأنهم حسبوا أهلاً أن يهانوا من أجل اسمه .

بل أن كثيراً من الآباء أحبوا كل ما هو حقير ، فصار لهم حقارة المسكن وحقارة الملبس وحقارة المظهر ، وتمسكوا بهذا حتى الموت ولم يرضوا به بديلاً حتى لو كان مجد العالم كله وغنى العالم كله !!

تأمل سيرة القديس أنبا مقار كيف احتمل العار وهو مظلوم فلما جاءته الكرامة ورد الاعتبار هرب منها .

مخذول من الناس :

أى أناس يارب صرت مخذولاً منهم ، تخلوا عنك وجحدوك ؟

هل التلاميذ اقرب المقربين ؟

أم الذين احسنت إليهم بجميع وجوه الحسنات ؟

هل من الذين فتحت لهم أعينهم وشفيت اسقامهم .

أم من الذين أخرجت منهم الشياطين .

أم من الذين أشبعتهم فى القفر والمحتاجين منهم إلى الشفاء كنت تشفيهم .

هل صرت مخذولاً من هؤلاء أم من أولئك ؟!

بل صرت مخذولاً من الجميع وبلا استثناء « تأتى ساعة ، تتفرقون كل واحد منكم إلى خاصته وتتركونى وحدي ... وأنا لست وحدى لأن الأب كائن معى »

هكذا المنظر من الخارج فى كل مراحل الصليب ، ترك ، تخلى ، احتقار ، خذل ، هذا من الخارج فقط أما من الداخل فهو واحد مع أبيه الصالح والروح القدس .

فإن رأيت على الشاطئ أمواج المحيط فى اضطراب فليس كذلك أعماق المحيطات هناك السكون الرهيب والصمت المطلق والسلام الذى لا نهاية له ..

فإن قال تتركونى وحدى فهو لم يكن محتاجاً إلى مساندة الناس من أى نوع . لهذا أتى ، ومن أجل هذه الساعة كان التدبير الإلهى الفائق الحسابات .

+ رجل أوجاع ومختبر الحزن :

ما أجمل هذا الوصف المأسوى الذى وصف به الروح مخلصنا ، أن يسميه رجل أوجاع قال المزمور بلسانه « وجعى مقابلى دائماً » .

لكن أي وجع ؟ يرد الروح قائلاً أوجاعنا حملها .

أنه وجع البشر ، وجع الخطاة ...

عندما كان يشفى الأمراض كان يحملها على نفسه ويتألم بها ... « أخذ الذى لنا وأعطانا الذى له » .

عندما قدموا إليه انساناً أصم أخرس وضع يديه فى أذنه وتفل ولمس لسانه ورفع يسوع نظره نحو السماء وأنّ (أى توجع) وقال له إفثا أى انفتح فانحل لسانه وتكلم مستقيماً (مر: ٧) .

فما من مرض إلا وشفاه ، وبالتالى ما من وجع إلا وحمله . فصار رجل أوجاع . ففى جسم بشريته تألم مجرباً ، وفيما قد تألم مجرباً يقدر ان يعين المجربين !!

هو فى طبيعته الإلهية منزه عن الألم والوجع ، فلما صار انساناً صار شريكاً لنا فى أوجاعنا التى جلبتها علينا الخطية ، هو حملها لأجلنا وبدّل حزننا إلى فرح ووجعنا إلى شفاء .

+ مختبر الحزن :

الحزن ضد الفرح ... وأول ما سمع الانسان عن الوجع والحزن كان يوم سقوطه « تكثيراً أكثر أتعاب حبلك . بالوجع تلدين أولاداً » ... هذه هى خبرة الوجع الأولى يوم ان دخل الموت إلى العالم بحسد ابليس دخل الحزن ووجع القلب . فكيف يرفع الرب هذا عن كاهل الانسان ؟ برفعه

الموت ، بكسره شوكته انحسرت كل من مظاهر الموت ومخلفات الموت .

صار المسيح مختبر الحزن ... حتى قال فى البستان **نفسى حزينة حتى للموت** ، ولكن حزن المسيح لأجلنا حول حزننا إلى فرح ...

فالحياة بالمسيح - فى ملكوت المسيح - هى حياة الفرح الدائم ، **أدخل إلى فرح سيدك** ، يهرب الحزن والتنهد.

صار لأجلنا مختبر الحزن ، لكى نختبر نحن فيه الفرح الإلهى الذى لا يشوبه كدر . اختبر الحزن ... بل ذاق الموت ، فهو إذ حمل جسم بشريتنا صار قابلاً أن يتألم بألم الطبيعة ، بينما هو منزه عن الآلام منزه عن الحزن منزه عن الضعف وبالأولى منزه عن الموت إذ هو الحياة بذاتها (**قدوس الحى الذى لا يموت الذى صلب عنا ارحمنا**) .

+ وكمُسترٍ عنه وجوهنا محتقر فلم نعتدّ به .

تأمل قول المزمور بلسان مسيح الآلام والصليب ، **أنا دودة لا انسان ، عار عند البشر ومحتقر الشعب - كل الذين يروننى يستهزؤن بى** ، مز ٢٢

صار البشر يسترون وجوههم عنه !! نوع من التغاضى وعدم المبالاة والاحتقار !! شئ عجيب .

هو يشرق بوجهه ، وجميع البشر يلتمسونه ، يقولون : طلبت وجهك ولوجهك يارب التمس ، لا تصرف وجهك عنى كن لى معينًا .

وهم فى يوم صليبه أشاحوا بوجوههم وستروها بعيدًا عنه كأنه غير ذى صفة ، وكأنه غير موجود ، الخطية فعلاً تحدر الانسان وتحط من قدره ، فإذا حمل المسيح خطايا العالم صار فى نظر الناس هكذا فستروا وجوههم عنه ، بالجهل الطبيعة البشرية الساقطة التى صارت فخًا ومسكنًا للشيطان فعميت عن الحق واغمضت أجفانها عن الرحمة !

٤- « لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصابًا مضروبًا من الله ومذلولاً .

٥- وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل اثامنا تأديب سلامنا عليه وبحُبُرِه شفينا » .

لماذا دعى المسيح حمل الله ؟! لأنه حمل أثقال الآخرين وهو كلّى البراءة والطهر ، فالأحزان والأوجاع هى ما يخصنا – هى التركة المثقلة بالديون التى سلمتها له

الطبيعة البشرية حين قبِل أن يتحد بها ويجعلها واحداً مع لاهوته ... ماذا قدمت له الطبيعة البشرية ؟! أحزان وأحزان وأوجاع لا تنتهى ، فإن انت قصدت أن تحصى مسببات الأحزان لبنى البشر لعجزت بل يستحيل ان تعد كل أنواع الأوجاع التى ضربت جسم البشرية فصارت كضربة طرية لم تعصب ولم تضمّد ولم تلين بالزيت ... كل الراس مريض وكل الجسم سقيم - هذا وصف الروح لحال البشرية ، ولكن كيف حمل المسيح كل هذا ؟ لو لم يكن إلهاً ، ما كان بمقدوره أن يجوز فى شئ من هذا .

أحزان جميع البشر ؟

أوجاع الطبيعة الإنسانية ؟

شئ لا يمكن وصفه ، ويرتد الفكر عاجزاً إن تجرا ان يفحص سر حمل الله ، كيف حمل كل هذا ؟!

هو حملها برضى ، وتألم بها بسرور ، قبل أن يصير هكذا لأجل خلاصنا نحن حسبناه واقع تحت الحكم مثلنا ؟ حاشاه .

بكته بنات أورشليم وهو حامل صليبه مساق إلى الجلجثة إذ حسبنه مثل باقى المحكوم عليهم بالموت ! ولكنه رفض هذا وقال **يا بنات أورشليم لا تبكين علىّ** ، بل

ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن ؟ حسبنه مصاباً مضروباً من الله كباقى الناس !؟ وهو قدوس بلا شر .

الذين أقاموا نفوسهم حراس للناموس والمُدافعون عن حق الله أسلموه للموت وحسبوه مستوجب الموت وكانوا يقولون خلص آخرين ... اتكل على الرب فلينجّه ...

+ مجروح لأجل معاصينا :

جراحات المخلص إن كانت فى يديه أو رجليه أو إكليل الشوك أو جنبه المطعون بالحربة ، منها سال الدم الزكى كفارة وستراً للمعاصى وغفراناً للخطايا والتعديات .

ما أعمقها جراحات ، تدخل النفس الخاطئة تحتمى وتغتسل وتتطهر وتُشفى ، لا يوجد طريق آخر لستر المعاصى سوى جراحات المخلص .

ما هذه الجراحات التى بيديك ... جرحت بها فى بيت احبائى .

هى جراحات حبه وقلبه الإلهى نحونا نحن الخطاة ... مجروح لأجل الخطاة ، هذه الجراحات كم خلصت ملايين البشر من حياة الشر والدنس ، وكم من ملايين كرست الحياة كلها لتخدم هذه الجراحات .

تجمعت ملايين النفوس على مدى آلاف السنين تقدس

هذه الجراحات المخلصة المشفية المحيية ، وتتعبد بشوق وعرفان بالجميل .

بل صارت جراحات المسيح شهوة الشهداء أن يقابلوه حباً بحب ، حتى إذا ما جرحوا متألمين لأجله بلغوا شيئاً من الاتحاد به .

ما أبغضك أيتها الخطية التى سببت هذه الجراحات ليسوع الحنون !

التأمل فى جراحات المسيح يشفى النفس كمثل ما فعل النساك .

الاشتراك فى جراحات المسيح يرفع النفس إلى السماء كمثل ما نال الشهداء .

خدمة جراحات المسيح تؤهل النفس للملكوت ، كالاهتمام بالمتألمين والفقراء والمعوزين لأنهم معتبرين أعضاء المسيح وفيهم تلمس جراحاته المحيية .

لقد استبقى المسيح هذه الجروح حتى بعد قيامته ، لتصير ينبوع عزاء لا ينضب لكى يسيل منها الشفاء والخلاص إلى الأبد ، حتى فى السماء رآه القديس يوحنا «خروف قائم كأنه مذبوح » !!

آثار الجروح صارت قوة إيمان للقديس توما وكل البشر .

آثار الجروح بنت الرسل ونخرتهم قوة دافعة للكرازة، جسونى وأنظروا ... « الذى لمسناه ...إلخ »

بقى أن هذه الجراحات تكون كفيلة بان تتوّب اقسى النفوس إذا ما كررت القول « إنه مجروح لأجل معاصينا» .

+ مسحوق لأجل آثامنا :

الرب سرَّ بأن يسحقه بالحزن « كالماء انسكبتُ ... صار قلبى كالشمع . قد ذاب فى وسط امعائى » مز٢٢

عندما قال داود فى المزمور القلب المنكسر والمنسحق لا يرذله الله ... كان يعبر عن مدى استجابته لحزن التوبة وانفعالات الندم عما اقترفه أمام الله ... لقد انسحقت نفسه فيه ... لصقت بالتراب . فلما صار مخلصنا يصنع خلاصنا ، وصل إلى كمال العمل إذ قدم ما عجزنا عنه تماماً واضعاً نفسه لأجلنا .

لأجل آثامنا انسحق ، ونحن فيه قمنا واستقمنا .

الآب سرَّ بأن يسحقه بالحزن ، كسرور رفع الذبيحة وتقديمها وإحراقها بالنار إذ تكون قد صنعت الكفارة ورفعت الخطايا وصنعت السلام بين المتخاصمين .

فسرور الآب يكمن فى ما قدمه المسيح ليُرضى ، قلب الآب، إذ يرى الخليقة كلها راجعة إلى حضنه فى المسيح ، ويرى ثمر صليبه فى رد الضالين وخلاص الهالكين لأن الآب يفرح بخاطئ واحد يتوب ، ولا توبة إلا بصليب ربنا يسوع ، ومن الأعمال الأساسية فى الصليب أن المسيح انسحق لأجل آثامنا .

+ تاديب سلامنا عليه .

هو سلامنا ، الذى رفع العداوة ، ونقض حائط السياج المتوسط بيننا وبين الآب ، صالحنا بدمه بذبيحة نفسه ، وصرنا فيه مقبولين لدى الله ، بل صالح السمائيين مع الأرضيين عندما علِّق بين الأرض والسماء .

ولكن هل اقتنى لنا هذا السلام بلا تعب ؟

أن أجرة الخطايا وفّاها بالكامل .

كان من ضمن الشرائع ، توجد تأديبات للخطايا والتعديات التى لم تكن عقوبتها الموت من ضمنها الجلد ، أو البصق على الوجه ، أو نتف شعر اللحية ، وهى كلها أعمال خزى يقصد بها الانسان إلى أسفل وأمام الجماعة ، لكى يرجع إلى صوابه ويتأسب بادب الشريعة ، وإن كان يعجز والدان عن ردع ابنهما وتربيته ، كانوا يأتون به إلى

شيوخ المدينة فيضعوا عليه من التأنيب ما يرده إلى جادة الصواب .

فإن كان مخلصنا أعادنا إلى السلام ففيه قبلنا التأديب ، بل هو وجده حمله لأجلنا ، حمل عنا التأنيب ، وقع عليه تأديب سلامنا ، فبصقوا على وجهه ، وعروه ، وجلدوه ... كلها أمور محسوبة فى حسابات المسيح فلا عجب أن قال بيلاطس « أنا أؤدبه » .

لم يترك الرب شيئاً مما تستوجبه خطايانا إلا واحتمله بكل الرضى العجيب ، فتراه حينما وقعت عليه جلدات السياط فى صمته ومذلته خاضعاً غير معترض ، لكى تجد فى المسيح ما يكفى لشفاء نفسك بل ويزيد (نعمة فوق نعمة) ، فلا عجب أن كنت ترى رسل المسيح وتلاميذه التابعين له قد أعفاهم تماماً من أن يقع عليهم شئ من الآلام فى وقت صلبه إذ كان هو يدفع كل الديون عنهم ، وفى وقت القبض عليه قال عن تلاميذه للجند «دعوا هؤلاء يمضون» .

وإذ كان الشيطان طلب أن يغربلهم كالحنطة طلب عنهم وعن إيمانهم واضعاً نفسه لأجلنا .

+ وبحُبُرِه شفينا :

الحُبُر هى جراحات الجلد وآثار السياط ، هذه صارت ينبوع شفاء للمجروحين بجراحات الخطية ينزفون الدم للموت ، جرح هو وجلد بالسياط لكى يشفى جراحات النفوس التى عرتها الخطايا وجلدها الشيطان بجلدات بلا شفاء .

تأمل كيف صارت الجلدات بعددها ٣٩ ينبوع تعزية وصلاة وطلب المراحم على مستوى الليل والنهار ونحن نصلىَ صلوات الأجبية ونطلب الرحمة وغفران الخطايا ؟

إن التأمل فى جلدات المسيح يُنفّر النفس من الخطية ويظهر بشاعتها وشناعتها ، كيف تصير الخطية خاطئة جداً إن لم تعرف قيمة الثمن الذى دُفع لغفرانها ... أجرة الخطية موت .

إن المسيح بذل ظهره للسياط بذلاً لأنه اقتنى لنا بهذا الثمن الحرية من سخرة السياط كما فى أيام فرعون .

طوبى للنفس التى ذاقت الشفاء من مرض الخطايا بتأملها فى جلدات مخلصها !

٦- « كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا » .

قال الرب بفم حزقيال تشتت غنمي ، وأعطى الويل لرعاة اسرائيل الذين أكلوا السمين ولبسوا الصوف ولم يجبروا الكسير ولم يعصبوا الجريح وتسلطوا على الغنم ولم يرعوها ...

ووعد الرب أن يرعى غنمه بذاته ويطلب الضال ويسترد المطرود ويجبر الكسير ، ولكن هنا صراخ البشر وشكواهم جميعاً ... كلنا ضللنا ... ليس ولا واحد بل الجميع أعوزهم أن يدركهم الراعى الصالح .

والتيه الذى ضل فيه الغنم كان تيه الذات البغيضة . كل واحد مال إلى طريقه الخاص ، الذى استحسنه تابعاً هواه وفى النهاية أدركنا أنه ميلان وانحراف ، ولم نسلك طريق الحياة بل سلكنا سبل الموت . فلما ظهر لطف الله وصلاحه فى المسيح يسوع رد الضالين ورد كل واحد عن طريقه الرديئة ، وهدانا إلى ملكوته ... أليس هو القائل **أنا هو الطريق ؟**

وإذ وجد الشعب منطرحين كغنم لا راعى لها ... تحنن

عليهم وقال أنا هو الراعى الصالح ، والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف .

وضع الرب عليه إثم الضالين فحمله برضى وردهم وهداهم إلى سبيل الخلاص .

« ظُلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه » :

صار المسيح المتألم نصير المظلومين إلى الأبد ، وحين ظلم تذلل ولم يفتح فاه ، اى قبل حكم الظلم وجور الظالمين . حين قبل أن يتألم ظلماً انتصر على الظلم ، وحين أسلم ذاته وإذ شتم لم يكن يشتم عوضاً وإذ تألم لم يهدد بل أعطى الحكم للحاكم العادل ، انهار الظلم وتبددت قواه وهتكت جبابرة الظلمة فى فضيحة لم يعرف التاريخ مثلها . قبل الظلم بصمت وأباده بقوة قيامته ، وجعل هذا الطريق لتابعيه السالكين بروحه ، يقبلون أن يتألموا مظلومين لأجله فينالوا الأجر السمائى **«أى فضل لكم إن كنتم تلطمون مخطئين فتصبرون ولكن أن عيرتم باسم المسيح فطوباكم »** طوبى للرجل الذى يصبرفى التجربة ، من يحتمل أحزاناً وهو مظلوم فطوباه لأنه يصير فى المسيح ومنه يأخذ سر الحياة .

أما صمت المسيح - لم يفتح فاه - فهو سر رهيب من

يقدر أن يقترب إليه . الكلمة الأزلى صار صامتاً لم ينطق بكلمة !! يا للعجب العجاب .

ولكن كيف يتكلم وهو الذبيح بكامل إرادته ؟

كيف يتكلم وهو الذى وضع نفسه بسلطانه وحده ... لى سلطان ان اضعها . لأجل هذه الساعة اتى إلى العالم .

ومن اجل هذه الكاس تجسد ، افلا يقبلها وإن قبلها قبولاً كاملاً فكيف يفتح فاه ؟

هل يعتفى من نفقة الصليب ؟ حاشا .

هل ينفى انه حامل خطايا العالم ؟ حاشا .

بل صار ساكتاً إذ قبل حكم الموت عن خطايا العالم ، لم يحتج ولا فتح فاه ... صمت رهيب ... ولكنه ابلغ من جميع الكلمات التى نطق بها الناس فى كل اجيالهم .

صفنيا النبى بروح النبوة يقول عن المسيح : **يسكت فى محبته** ، . لما بلغ الحب إلى المنتهى صارت الحاجة إلى الكلام بلا معنى ... لم يعد مكان للكلام لأن الفدية صارت بالعمل بالبذل بسفك الدم ، فهل يعوزنا كلام بعد ؟

الذى عرف ما بداخل الناس ... صمت لأنه لم يات ليدين العالم بل ليخلص العالم ، لم يجب عن نفسه بشئ ولا نفى . تهم الزور ، ولكن عن شئ واحد كان يجيب متى

سـألوه ، عن ذاته كابن لله لم يقدر أن ينكر ذاته فقال للسائل ، أمن نفسك تقول هذا أم آخرون قالوا عني ، وقال لرئيس الكهنة من الآن ترون السماء مفتوحة وابن الانسان جالساً عن يمين العظمة .

+ « كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه » .

هوذا حمل الله الذى يحمل خطايا العالم - هكذا شهد يوحنا المعمدان فى الغد لذى تلى عماد الرب ... نظر إليه فرأى فيه صورة الحمل الذبيح . الوداعة والبراءة والاتضاع مع الصمت ، هذه ملامح مسيح الصليب ، سيق إلى الذبح كذبيحة حقيقية ، ونحن نصلى فى القداس (أتيت إلى الذبح مثل حمل حتى إلى الصليب ... أظهرت عظم اهتمامك بى قتلت خطيتى بقبرك) .

ساقوه كأنه مغلوب ولا إرادة له ، ولم يعلموا انه اسلم ذاته بإرادته وحده ، هو أسلم للموت نفسه ، قيل أن بيلاطس أسلمه إلى إرادتهم وهم كانوا سلموه إليه بعد ان القوا عليه الأيادى ... وصاروا يسوقونه من بيت قيافا إلى بيت حنان إلى بيت هيرودس إلى بيت بيلاطس ، إلى الجلجثة ، وهو لا يقاوم ولا يتكلم ...

وهل تتكلم الشاة المساقة إلى الذبح ؟

اما الجازون فهم يأخذون الصوف يلبسونه للستر والدفء معاً ، وأما الذبيحة فهى ستر الخطايا ، ومن البدء صنع الرب لأدم مأزر من جلد الذبيحة لستر عريه .

المسيح هو الذبيحة الحقيقية الكاملة والمكملة لكل نقص ، فيه مذخر كل كنوز الحكمة والخلاص .

٨- « من الضغطة ومن الدينونة أخذ » .

حيث كانت ضغطة عجيبة ومحاكمات لم يقترب إليها الحق بل داهمها الظلام ولفتها الظلمة من كل جانب ؟ وهل عرف التاريخ محاكم تعقد فى الليل خمس مرات سوى هذه التى حدثت لمخلصنا ؟

إذا حوكم الانسان يتبرر الله ، لأن الانسان مدان ومحكوم عليه مولود الخطية وفاعل الخطية ، وأما هنا فقد انقلبت الأوضاع ... هنا المسيح يقبل أن يصير تحت الحكم لينجى من هم تحت الحكم .

محاكمات المسيح هى التى برأت الخاطئ .

الحكم بالموت على المسيح كلى البراءة حمل فى طياته براءة المذنب وحياة الخطاه المحكوم عليهم بالموت ، لأن

المسيح قبل الحكم الذى كان يستوجبه الخاطئ بمقتضى الناموس .

أخذ المسيح وسيق إلى الموت محكوماً عليه بالناموس ، فرفع ثقل الناموس عن كاهل الخطاة واستبدله بالنعمة ، فصرنا لسنا تحت الناموس والقانون الذى يحكم بل تحت نعمة المسيح الذى يبرر.

+ « وفى جيله من كان يظن انه قطع من أرض الأحياء» .

إن الذين نظروه فى الجسد كانوا يتعجبون منه ، عن كلماته شهدوا أنه لم يتكلم احد قط هكذا ، ومن اعماله كانوا يبهتون ويتعجبون ويقولون ما راينا انساناً قط مثل هذا ، قد افتقد الله شعبه وقام فينا نبى عظيم ، من هذا حتى أن الأرواح النجسة تخضع له ، وتعجبوا ، ومجدوا الله ، فمن كان يظن فى جيله – أنه قطع من أرض الأحياء .

ذاك الذى أقام الموتى هل يموت ؟

ذاك الذى أسكت الريح وابكم الموج هل يقوى عليه سلطان ؟

لذلك كانوا يترجون أن ينزل عن الصليب ، حتى

الرؤساء كانوا يستهزئون ويقولون انزل عن الصليب فنؤمن بك .

فالصليب بالنسبة لمن افتكر فى المسيح انه مخلص على مستوى السياسة والملكوت الأرضى والمكاسب المادية، كان الصليب مخيباً لآمالهم وقضى على كل طموحاتهم .

+« انه ضرب من أجل ذنب شعبى » .

٩- وجُعل مع الأشرار قبره ، ومع غنى عند موته .

لم يفت الروح أن يكرر أن المسيح ضرب لا من أجل ذنبه فهو القدوس الذى لم يفعل الشر ولا .وجد فى فمه غش . بل ضرب من أجل ذنب شعبى .

أما قوله جعل مع الأشرار قبره ، فهو إشارة إلى أنه ساوى الناس فى الدفن والقبر ، فإن جميع القبور احتوت أجساد الناس المحسوبين خطاة ، إذ ليس بار ليس ولا واحد . فلما مات المسيح قبر فى القبر كسائر البشر المحكوم عليهم بالموت ، ولكنه كسر الموت بموته ودفن الخطية وقتلها بقبره وقام تاركاً القبر فارغاً حتى اليوم وإلى الأبد ، « قتلت خطيتى بقبرك» وقد يكون أنه جعل مع الأشرار قبره إشارة إلى صلبه بين لصين محسوباً مع فاعلى الشر كقول الإنجيل ، وقد ارتضى المسيح أن

يحسب هكذا لكي يخلص أعتى الخطاة ، وقد كان ، فأول من وطأ الفردوس كان لصاً ... لما صلب المسيح مع الأشرار استخلص اللص كما من فم الأسد ، وبموته المحيي وقيامته أشرق بنور وجهه مبدداً الظلمة إلى الأبد .

+« ومع غنى عند موته » .

« ولما كان المساء جاء رجل غنى من الرامة اسمه يوسف وكان هو ايضاً تلميذاً ليسوع ، فهذا تقدم إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع فأمر بيلاطس حينئذ ان يعطى الجسد ، فأخذ يوسف الجسد ولفه بكتان نقى ووضعه فى قبره الجديد » مت ٢٧ .

هذا الإحكام المدهش فى شرح دقيق لتفاصيل موت المسيح المخلص يفوق الوصف والعقل ، فقد قيل هذا الكلام قبل موت المسيح بأكثر من سبعمائة سنة !!

ففى التدبير الإلهى كان يوسف الرامى قد أعد لهذا العمل لينال هذه البركة العظمى ، ويُذكر كلما كرز بالإنجيل فى العالم كله مخلداً اسماً وصيتاً حسناً ومدحاً من الله .

فالعذراء القديسة الذى تجسد منها ابن الله الكلمة اختارها وقدسها ، ويوحنا المعمدان الذى استحق أن يعمد

ابن الله . أعظم مواليد النساء ، كان مهيئاً ليسبق الرب لإعداد الطريق فى القلوب ورد كثيرين إلى الرب إلههم ... ويوسف النجار البار ، وجميع الذين خدموا الرب – حتى النساء اللواتى تبعنه وكن يخدمنه من أموالهن تسجل لهم هذا العمل واعتبره المسيح معروفاً أُسدى إليه وهو واهب الغنى مجدِّد النعمة ... وسمعان القيروانى الذى حمل الصليب خلف الرب وهكذا ... إلى أن انتهى إلى هذا الرجل البار يوسف الذى من الرامة الذى صار آخر هذه المجموعة المختارة بالتدبير لخدمة التجسد الإلهى ، قد خصها الرب ببركة خاصة ولا سيما أولئك الذين سبق الروح فأنبأ عنهم كمفروزين ومميزين ومستحقين لهذه النعمة التى صاروا فيها .

+ « على أنه لم يعمل ظلمًا ولم يكن فى فمه غش »

يؤكد الروح هنا على أن الرب قدوس فى كل شئ وأن ما وقع عليه من آلام لم تكن بأى حال من جراء شئ يخص الرب من قريب ولا من بعيد ، بل أنها آلام جرتها خطايا الآخرين وأنه كان يدفع ما لم يقترض ويسد ديون آخرين ، أما هو صانع الخيرات وصانع الحق ومعطى النعم والإحسان .

وأما من جهة الكلام فمن يستطيع أن ينسب إليه كلمة يبكته عليها .

من منكم يبكتني على خطية ؟ حلقه حلاوة وكله مشتهيات وكلامه حي محيي لم يكن في فمه غش ، بل كلام الله وكلام الحياة الأبدية ، **إلى من نذهب وكلام الحياة الأبدية عندك ... لا يصيح ولا يخاصم ولا يسمع أحد في الشوارع صوته ...** ، .

لم يكن في فمه غش ولن يكون . لأنه حين فتح فاه وعلمهم جرى ينبوع تعاليمه كماء حياة في أرض عادمة الماء . وجدت كلامك حلو فأكلته ... انسكبت النعمة على شفتيه . فلم يسمع إنسان يتكلم قط هكذا ... فكلامه شدد المشلولين وأقام الموتى وأبرأ الأعمى والأبرص ... كلامه حي فعال وأمضى من كل سيف ذي حدين .

١٠ – ، أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن . إن جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلاً تطول أيامه ومسرة الرب بيده تنجح ، .

الرب وضع عليه إثم جميعنا . جعل الذي لم يعرف خطية خطية لكي نصير نحن بر الله فيه ، كما حمّل ابراهيم أبونا حطب المحرقة على وحيده ، وساقه للذبح

وهو فى طاعة مذهلة للعقل ، وكما ربطه واضعاً إياه على المذبح ورفع السكين ليذبحه ... هكذا صار المسيح ، ذبيحاً بيد الآب لا بيد الناس ، وعلى هذا المثال قدم مخلصنا بطاعة ذاته وأكمل ذبيحة نفسه كفارة عن خطايا العالم كله. ما أجمل الرمز وما أكمل الحقيقة !

الرمز فى ابراهيم واسحق حمل مشاعر هى أعمق ما سجله تاريخ البشرية من نحو الأبوة والبنوة ، وهى فى طاعة الله وحمل مشاعر يعجز القلم عن التعبير عنها من نحو قبول الموت طواعية ، وصار فى الرمز أدق تعبير عن الصليب وذبيحة العهد الجديد يسوع المسيح ابن الآب بالحق والمحبة .

فإن قال إن الرب سر بأن يسحقه بالحزن ، فقلب الآب كان فيه سرور لرجوع البشرية إليه فى المسيح ، وكسر شوكة الموت عن خليقته وصورته ، ورد الضال إلى حضن أبيه ، عدا سحق العدو ابليس وانحسار قوته وجبروته .

موت المسيح فيه موت الخطايا ودفنها وفيه بركات الخلاص ...

فمن ناحية من نواحى الصليب ، ترى الآلام والأحزان ، ومن جهة أخرى ترى قوة الله للخلاص . ففيه سرور الآب

وهو يبذل ابنه لأجلنا « **الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين** » ، وفى البذل عند الآب سرور يتفق مع سخاء طبيعته الإلهية إذ يرتاح فى العطاء لأنه مصدر العطاء ، وليس عطاء بعد عطاء الذات وبذل الذات « **هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد** » .

أما الخطايا وفعلها الشنيع والوقوع تحت جزائها ، فما أرهب وأفدح هذا الثمن ! انسحق المسيح بالحزن بيد الآب... **الكأس التى أعطانيها الآب ألا اشربها ... يا أبتاه إن أردت أن تعبر عنى هذه الكأس !!**

وها أنت ترى هذا السحق بالحزن فى بستان جثسيمانى الذى تسجلت فيه أروع مشاهد الصليب ، قبل الصليب ، حين خر المسيح بوجهه إلى الأرض وكان عرقه يتصبب كقطرات دم نازلة من جبينه ... كان يعتصر ككرمة حقيقية تنزف عصير الحياة الذى هو دمه ، من فرط حبه لنا .

+ إن جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلاً تطول أيامه ومسرة الرب بيده تنجح .

هو قدم ذاته ، هو الذى جعل نفسه ذبيحة عن الخطايا .

هأنذا جئت أصنع مشيئتك يا الله ... طاعة لا نهائية بلا

حدود ولا شروط وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب .

ولكن بكل وضوح لا يحتمل أدنى التباس ، أن موت المسيح كان موتاً إرادياً بسلطانه « لى سلطان أن أضعها » .

فالذبيحة مقدمة بيد رئيس الكهنة الأعظم ، والذبيحة هى جسده ، الذى لأجلنا أجمعين جعل نفسه ذبيحة وقدمها طواعية محتملاً العار والخزى .

ما أجمل كلمات المزامير التى أوردها القديس بولس الرسول فى رسالته إلى العبرانيين « لذلك عند دخوله إلى العالم يقول ذبيحة وقرباناً لم ترد ولكن هيأت لى جسداً بمحرقات وذبائح للخطية لم تسر » .

مسرة الرب لم تكن بالمحرقات والذبائح ، ولكن ذبيحة ابنه يسوع المسيح صارت منتهى الفرح والسرور ، « هذا الذى أصعد ذاته ... فأشتمه أبوه الصالح » .

وإذ جعل نفسه ذبيحة عن الخطايا ، اقتنى نسلاً وشعباً مولودين ثانية ، مولودين من فوق بقوة الخلاص ودم الذبيحة .

فالنسل الجديد - الخليقة الجديدة - هم أولاد الله ،

لذلك يكمل المزمور قائلا « هأنذا والأولاد الذين أعطانيهم الرب » .

وهو نسل تطول أيامه ، ليس بحسب هذا الزمان الزائل بل بحسب الروح والحق ، وفيه أيضاً تنجح مسرة الرب ويزداد سروره بالراجعين إليه فى المسيح ، السماء تفرح بخاطئ واحد يتوب...

« ينبغى لنا أن نفرح ونسر لأن ابنى هذا كان ميتًا فعاش وكان ضالاً فوجدناه » .

يصير الصليب ينبوع مسرة الآب ومسرة السمائيين، لأن السماء تفرح برجوع الخطاة ، ولا رجوع للخطاة إلا بصليب ربنا يسوع المسيح .

١١ - « من تعب نفسه يرى ويشبع . وعبدى البار بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها » .

ماذا يُشبع مخلصنا ؟ يشبعه ثمر تعبه ، ثمر الصليب .

وها أنت ترى ثمار الصليب تملأ العالم منذ يوم أن صلب ربنا إلى يوم مجيئه ملايين الملايين على مدى العصور خلصت بالصليب .

هل تذكر التلاميذ عندما سألوه قائلين يا معلم كل . كيف قال لهم « لى طعام آخر لستم تعرفونه ... طعامى أن اعمل مشيئة ابي وأكمل عمله » .

وحين قال أنا عطشان على الصليب ، لما قدموا له خلاً لم يرد أن يشرب ولكن حينما قال اللص اليمين أذكرنى ارتاحت نفس الرب إذ كانت توبة اللص هى أولى ثمرات الصليب التى أروت نفس الرب للشبع ، ومن بعد ذلك كم شبع الرب بملايين الشهداء الذين أحبوه حتى الموت ، وملايين النساك الذين تبعوه وباعوا العالم واحتقروا مجده ، وملايين الأتقياء الذين حفظوا القداسة وخوف الله، أنظر إليهم فى السماء جمع لا يعد من كل الشعوب والقبائل والألسنة ، فى ثياب بيض مغسولة بدم المسيح .

حقاً إنه ببره ومعرفته وفضيلته برر الكثيرين وحمل آثامهم .

١٢ - « لذلك أقسم له بين الأعزاء ومع العظماء يقسم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه وأُحصى مع أثمة وهو حمل خطية كثيرين وشفع فى المذنبين » .

لقد توسط الله بقسم حتى يثبت عهده مع ابراهيم ، لأن القسم كان بالنسبة للبشر هو نهاية كل مشاجرة ،

أى القطع الحاسم ، وهذا القسم اعتبره القديس بولس أمراً عديم التغيير لا يمكن أن الله يكذب فيه ، وهنا أيضاً من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا يقسم قائلاً «أقسم الرب ولن يندم أنك كاهن إلى الأبد على طقس ملكى صادق» .

فهذا قسم لأجل كهنوت المسيح وذبيحته الإلهية ولقد كان هذا القسم ليس أمام الناس ليشهدوه ، بل أمام الملائكة وجند السماء الذين قالوا مستحق انت ان تأخذ المجد والكرامة ... لأنك ذبحت واشتريتنا لله أبيك . كما شهد يوحنا الرائى انه لم يوجد فى السماء ولا على الأرض من ينظر إلى السفر ولا أن يفك ختومه إلى ان غلب المسيح بصليبه وقيامته ، فالأعزاء والعظماء هم طغمات الملائكة ورؤساء الملائكة والشاروبيم والسارفيم الذين إذ نظروه كخروف قائم كانه مذبوح اعطوه مجداً وكرامة .

من أجل انه سكب للموت نفسه وصاروا يسبحون مع البشر ويقولون لأنك ذبحت واشتريتنا ، وصار البشر يسبحون تسبحة الملائكة .

أما غنيمة الانتصار فالمسيح سبى سبياً كقول الرسول وفك المسبيين فى غياهب الظلمة وسجن الجحيم ظافراً

بالموت فادياً نفوس عبيده منذ آدم إلى آخر الدهور ... فما أعظمها غنيمة ، كم من نفوس خلصها المسيح كما من فم الأسد شيء لا يعد ولا يحصى من الكثرة !

+ **« سكب للموت نفسه وأُحصى مع أثمة » .**

حقاً صار كلام المزمور « **كالماء انسكبت** » مز ٢٢ .

وهو أحصى مع فاعلى الشر اللذين صلبا واحداً عن يمينه وآخر عن يساره ، فإن سألت أحد عامة اليهود يومئذ كم واحد صلبوه فوق الجلجثة ، لأجاب قائلاً ثلاثة ... هكذا أحصوه وعدوه كواحد من الأثمة ، وهو البار القدوس الذى لم يعرف خطية .

وعندما أحصى مع الأثمة خلص الأثمة إذ حمل عنهم نير الموت والخطية ، إذ حمل خطية كثيرين وشفع فى المذنبين .



يطلب من مكتبة كنيسة مارجرجس باسبورتنج

☎ ٥٩٦٦٩٨٨٨

المراسلات ص.ب ، ١٧ الابراهيمية - الاسكندرية